

ظاهرة التكبسب بالشعر وتجلياتها في

النقد العربي القديم

The issue of profiteering from Poetry and manifestations in the Arab Criticism

رائد عبدالرحيم

قسم اللغة العربية

جامعة النجاح - نابلس

تاريخ الاستلام 2009/10/25 تاريخ القبول 2010/3/15

Abstract: The issue of profiteering from poetry is present in the minds of the ancient Arab critics, and they ask, and write their opinions for cash. In spite of the importance of the topic, there is no comprehensive scientific study dealt with in various aspects, and all studies are dealt with profiteering stories, and their relationship to the ruling power, and some guidance cash linked to that phenomenon.

Hence this research to provide a comprehensive picture of the views of critics in the old Arab poet criticism in one hand, and notified the other hand, and a copy of which they have adopted their standards in judging the poet and his poetry. And then to stand on the issue of the role of profiteering in the formulation of some poetry issues, exchange old. Search and excluded the views of the kings and sultans who gave a lot of money on the poets, those positions are known famous poet accepted the

المخلص: كانت ظاهرة التكبسب بالشعر حاضرة في أذهان النقاد العرب القدامى، وهم يوجهون الشعراء، ويصوغون آراءهم النقدية. وعلى الرغم من أهمية الموضوع، لا توجد دراسة علمية شاملة تناولته من جوانبه المختلفة، وكل ما هنالك دراسات تناولت قصص المتكسبين، وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة، وبعض التوجيهات النقدية المرتبطة بتلك الظاهرة. ومن هنا جاء هذا البحث ليقدّم صورة متكاملة عن آراء النقاد العرب القدامى في الشاعر المتكسب من جهة، وفي أشعاره من جهة أخرى، وصورة عن مقاييسهم التي اعتمدها في الحكم على الشاعر المتكسب وشعره. ثم ليوقف على دور قضية التكبسب بالشعر في صياغة بعض قضايا النقد القديم. ويستنتج البحث آراء أرباب الدول ممن أغدقوا الأموال على

this action, and opened their doors to them, to praise them, and promote their policy, and there are many studies and stood at the stories of the study and analysis.

الشعراء، فهؤلاء مواقفهم معروفة مشهورة، قبلوا الشاعر المنكسب، وفتحوا له أبوابهم، للثناء عليهم، وترويج سياساتهم، وهناك دراسات كثيرة وقفت عند قصصهم بالدراسة والتحليل¹.

مقدمة

لقد ارتبط الشعر بالسلطة والسياسة منذ العصر الجاهلي، فدفعت الرغبة بعطايا الملوك وأرباب الدول، والرغبة من بطشهم وسطوتهم، وحبهم، والتعلق الشديد بهم، الشعراء إلى مديحهم، وترويج سياساتهم، وقام الحكام بدورهم إذ أغدقوا الأموال على مقربيهم ومادحيهم من الشعراء، فعاش بعضهم حياة رغيدة في أكناف الملوك والأمراء والخلفاء. ولم تنشأ هذه العلاقة من فراغ فقد كان للشعر دوره العظيم حين قام مقام وسائل الإعلام في عصرنا في إشاعة مناقب أرباب السلطة الحاكمة، ونشر مآثرهم وسياساتهم، حتى أضحي الشعراء جزءاً لا يتجزأ من أدوات الحكم والسياسة، وهذا الدور المهم للشاعر هو الذي جعل خليفة مثل عبد الملك بن مروان يستقبل شاعراً مثل الأخطل في مجلسه، ولحيته ترفض من الخمر، ويقول شعراً في مهاجمة شعائر الإسلام ورموزه، يقول ابن رشيق متحدثاً عن مكانة الأخطل عند عبد الملك بن مروان: " وكان نصرانياً من تغلب، بلغت به الحال في الشعر إلى أن نادى عبد الملك بن مروان، وأركبه ظهر جريز بن عطية الخطفي، وهو تقي مسلم،....حتى قال مجاهراً: لعنة الله عليه، لا يستتر في الطعن على الدين والاستخفاف بالمسلمين²:"

ولستُ بـصائمٍ رمضانَ طوعاً
ولستُ بزاجرٍ عنساً بكوراً
ولستُ منادياً أبداً بليلاً
ولكنني سأشربها شمولاً
ولستُ بأكلٍ لحمٍ الأضاحي
إلى بطحاءٍ مَكَّةَ للنجاح
كمثلِ العَيْرِ حيٍّ على الفلاح
وأسجدُ قبلَ منبأج الصبّاح

¹ - انظر الدراسات السابقة في التمهيد.

² - ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 44/1، وانظر ديوان الأخطل، ص486، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 338/1، أبو الفرج النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافعي، 254-253/1.

----- ظاهرة التكبسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
واتخذ كثير من الشعراء المديح وسيلة من وسائل التكبسب والعيش، والوصول إلى
الجاه والسلطان، وقطعوا لذلك كلَّ سبيل، وأرقوا ماء الوجه، وتوسلوا الممدوح واستجدوه،
وقصص هؤلاء الشعراء تملأ صفحات أدبنا العربيّ.

وقد كانت ظاهرة التكبسب بالشعر حاضرة في أذهان النقاد العرب القدامى، وهم
يحكمون على الشعراء، ويصوغون نظريتهم النقدية، ولعلَّ أقدم الكتب التي حضرت فيها
هذه الظاهرة، كتاب جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشيّ، فقد نقل هذا الناقد آراء
النقاد العرب القدامى في الشعراء الجاهليين، وكان لظاهرة التكبسب بالشعر أو الأنفة منها
دور مهم في الحكم على بعض أولئك الشعراء وعلى شعرهم. وكان لهذه الظاهرة حضور
في عدد من الكتب النقدية والأدبية مثل الشعر والشعراء، لابن قتيبة، والبيان والتبيين،
للجاحظ، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، وكتاب إحكام صنعة الكلام، للكلاعي،
وغيرها من الكتب. ووضع بعض النقاد هذه الظاهرة نصب أعينهم، وهم يعرضون
آراءهم النقدية، ويوجهون الشعراء والأدباء أمثال أبي هلال العسكريّ، في كتابه
الصناعتين، وابن رشيق القيرواني، في العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. وهذا
الأخير كان أول ناقد يفرد لقضية التكبسب بالشعر باباً خاصاً للحديث عنها في كتابه، وبيان
الآراء المختلفة فيها، ثم رأيه الشخصيّ. وتناولها أيضاً في غير هذا الباب، وهو باب " من
رفعه الشعر ومن وضعه ". وكتابه يحفل بالقضايا النقدية التي ربطها الناقد بقضية التكبسب
بالشعر، وعلاقة الشعراء بأرباب الدول.

أما في العصر الحديث، فقد أُفرد لهذا الموضوع غير كتاب، تناولتها من زوايا مختلفة
منها كتاب " ظاهرة التكبسب وأثرها في الشعر ونقده "، لدرويش الجنديّ، وهو مهم في هذا
الموضوع، وقف فيه الباحث على أوليات ظاهرة التكبسب، وبواعثها، وشعرائها
وقصصهم، وبيّن أثرها في فنون الشعر العربيّ وبخاصة المديح، والهجاء، والرثاء،
والاعتذار، والعتاب، وتحدّث عن أثرها في بعض قضايا النقد القديم، مثل غرض المديح،
وقضية الانتحال، والسرققات الشعرية، وتناول مكانة الشاعر المتكبسب الاجتماعية، وأثر
الظاهرة في المجتمع. وبعد قراءة هذه الدراسة يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

1- إنّ هذه الدراسة لم تأت على الجوانب المختلفة لظاهرة التكبسب بالشعر وأثرها في
النقد العربيّ القديم. وقد استشعر الباحث هذا الأمر في غير موضع من كتابه كما يبدو
مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية 2010، المجلد 12، العدد 1 ----- (423)

في قوله: إن " بحثاً كهذا البحث لا يعدو لأن يكونَ وضعاً للنقاط على الحروف، ورسماً لمنهاج يحتاج تنفيذه إلى أبحاث شتى، ودراسات متعددة "1.

2- لقد جعل الباحث توجيهات النقاد العرب القدامى لشعراء المديح نابعة من استحضارهم ظاهرة التكبب بالشعر، وهذا أمر غير دقيق، ذلك أنه لا يشمل النقاد القدامى جميعهم، ولا توجيهاتهم النقدية كلها، وإن صدق رأيه على بعض آراء العسكري وابن رشيق، فإنه لا يصدق على قدامة بن جعفر وغيره من النقاد، فهؤلاء راعوا في تنظيرهم لغرض المديح وغيره من فنون الشعر مراعاة المقام ومقتضى الحال، ووحدة النص الشعري.

3- رأى الباحث أن التكبب بالشعر كان سبباً من الأسباب المهمة في بروز قضية الانتحال، والسرققات الشعرية، وحاول أن يثبت وجهة نظره بأدلة عقلية، ولم يؤيده برأي أو قول من أقوال النقاد العرب القدامى، وكل الآراء والقصص التي عرضها لا تذهب مذهبه الذي تبناه. ومن هنا يمكن القول: إن محاولته الربط بين قضية التكبب، وهذه القضايا النقدية بحاجة إلى معاودة نظر وتمحيص.

ومن الدراسات السابقة، كتاب " التكبب بالشعر "، لجلال الخياط، تحدت فيه المؤلف عن أسباب التكبب بالشعر، وقصصه وحكاياه، وأبرز الشعراء المنكسبين. وهناك كتاب الشعر والتكبب دراسة اقتصادية، لياسر الحوراني، والمؤلف مختص بالاقتصاد لا بالشعر ونقده، ومن هنا جاءت بعض آرائه ينقصها التدقيق والتمحيص والاستقصاء، وبخاصة حين تناول موقف الإسلام ورجالاته من شعر التكبب2. وقد ناقش الباحث في كتابه مجموعة من العناوين مثل: مفهوم التكبب، وخصائص شعر التكبب، ودواعي التكبب، ثم عرض لعلاقة شعر التكبب بالمجتمع الجاهلي، ووقف عند رأي الإسلام في التكبب بالشعر، ورأي بعض الصحابة وبخاصة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. وهناك كتب تناولت الفكر النقدي عند منظري المذاهب الإسلامية، وعند بعض الفلاسفة المسلمين، فنطرت في ثناياها إلى هذه الظاهرة، وبخاصة عند الحديث عن مهمة الشعر عند هؤلاء، مثل كتاب ألفت كمال الروبي " نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من

1 - درويش الجندي، ظاهرة التكبب، ص268.

2 - سيأتي الإشارة إلى ذلك لاحقاً.

ظاهرة التكبس بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
الكندي حتى ابن رشد"، وكتاب كريم الوائلي " الخطاب النقدي عند المعتزلة قراءة في
معضلة المقياس النقدي".

لم تقف هذه الدراسات على الجوانب المختلفة لتجليات ظاهرة التكبس بالشعر في النقد
العربي القديم. ولهذا جاء هذا البحث ليحقق هذا الهدف، وليضيف لبنة جديدة إلى تلك
الدراسات، وليجيب عن الأسئلة الآتية:

- ما هو موقف النقاد العرب القدامى من الشاعر المتكسب؟
 - ما هو موقفهم من شعر التكبس؟
 - ما هي القضايا النقدية التي كان لظاهرة التكبس بالشعر دور في صياغتها؟
- أما عن المنهج الذي اتبع في هذا البحث، فهو المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي.
فقد قام على استقراء آراء النقاد العرب القدامى من مظانها المختلفة، ثم عرضها ووصفها،
وتحليل ما فيها.

ولا بدّ من التنويه هنا إلى أن المقصود بالنقاد العرب القدامى أولئك الذين تركوا كتباً
نقدية، وأولئك الذين لهم آراء نقدية مبنوثة في كتب الأدب والنقد والتراجم والتاريخ
وغيرها، سواء أكانوا علماء، أم أدباء، أم نقاداً، أم فلاسفة، أم متلقين، أمثال رجال الحكم
والسياسة وغيرهم.

ويستثني هذا البحث آراء الحكام والخلفاء والسلاطين الذين أجازوا إغداق الأموال
على الشعراء، وقربوهم، وجعلوهم أداة من أدوات الترويج لحكمهم وسياساتهم وأفكارهم،
ووسيلة من وسائل الأبهة والعظمة، وتخليد المآثر، فمواقف هؤلاء وقصصهم معروفة،
ومشهوره، إذ كانوا يرون أنّ من الواجب عليهم منح الشعراء الجوائز والأموال، وفرض
الرواتب لهم، طالما كان شعرهم موجّهاً لخدمتهم، وإشباع رغباتهم وطموحاتهم. وكان من
نتيجة ذلك أن هؤلاء الشعراء، كما يقول ابن رشيق: "رفعهم ما قالوه من الشعر، ونالوا
الرتب، واتصلوا بالملوك"¹. وشاعت أقوال تشير إلى مواقف أرباب الدول منهم، وتشجعهم
على تقربهم، مثل: إنّ "إعطاء الشعراء من فروض الأمراء"، و "إعطاء الشعراء من

¹ - ابن رشيق، العمدة، 46/1. وقد أفرد ابن رشيق في غير مكان من كتابه صفحات كثيرة للحديث عن
قصص شعراء التكبس، والمنافع التي جنوها من اتصالهم بالملوك منذ العصر الجاهلي حتى عصره.
انظر 69/1 وما بعدها.

آراء النقاد العرب القدامى في التكبب بالشعر

إنّ البحث في كتب الأدب والنقد العربيّ القديم يكشف عن آراء متفكّة ومختلفة في هذه القضية، وهذه الآراء، في مجملها، معلّلة، تُميّز بين أثر التكبب في شعر الشاعر المتكبّب، وأثره في شخصيته، وفي الآتي عرض لهذه الآراء:

الناقد والشاعر المتكبّب

وقف النقاد العرب القدامى غير موقف من الشاعر المتكبّب، ويمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: لقد عبّر بعض النقاد والأدباء عن رفضهم التكبب بالشعر، وكان رفضهم مبنياً على موقف خلقي واجتماعي ونفسي، فالشاعر المتكبّب يضطر إلى التذلل، وإراقة ماء الوجه، ومن ثمّ الكذب حين يسبغ على الممدوح صفات غير حقيقية، ويضعه في مرتبة ليس أهلاً لها، ويتجلّى ذلك في موقف أبي عمرو بن العلاء من الأعشى إذ رأى أنّ الشاعر " وضعته الحاجة بالسؤال"²، وفي موقف ابن سلام من الحطيئة إذ قال: " وكان جشعاً سوؤلاً"³. وعبّر عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى الكتاب عن موقف مشابه حين حثّ الكتاب على تجنّب التكبب بالأدب، فقال: " وارغبوا بأنفسكم عن المطامع، سنيها ودينها، ومساوى الأمور ومحافرها، فإنها مفسدة للكتاب"⁴. فعبد الحميد الكاتب الذي كان يدير الكتاب وشؤونهم في غير حقبة زمنية في عصر بني أمية، كان على اطلاع على أحوالهم، وكان يرى تناقضاً غير شريف بينهم في سبيل مطامعهم وإرضاء السلطة الحاكمة. ويرى الشاعر الحطيئة في بعض مواقفه أنّ التكبب بالشعر أدلّ كما أدلّ النابغة الذبياني قبله، ويتضح ذلك في الحوار الذي دار بينه وبين ابن عباس، رضي الله عنه، " فقال ابن عباس: يا أبا مليكة "الحطيئة" من أشعر الناس؟ قال: أمن الماضين أم من الباقين؟ قال: من الماضين، قال الذي " يقول "زهير":

¹ - الثعالبي، كتاب خاص الخاص، 76. والقول الأوّل منسوب للخليفة الشاميّ فيه.

² - القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص55.

³ - طبقات الشعراء، 69، وانظر الأصفهاني، الأغاني، 163/2.

⁴ - إحسان عباس، عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء، ص283.

ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
ومنْ يجعل المعروفَ من دون عرضه يفره ومن لا يتَّق الشتمَ يُشتم
وما بدونه الذي يقول "النابعة":

ولست بمستبق أخاً لا تلمهُ على شعثِ أيِّ الرجالِ المهذبِ

ولكنّ الضراعة أفسدته، كما أفسدت جرولاً، يعني نفسه، والله يا ابن عمّ رسول الله لولا الطمّع والجشعُ لكنتُ أشعرَ الماضين، فأما الباقر، فلا تشكّ أنّي أشعرهم وأصردهم¹ سهماً إذا رميت². وقد علّق عبد اللطيف الحديدي في كتابه "الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي"، على هذه القصة، فرأى أنّ حكم الحطيئة هذا لا يقوِّيه "علة أو سبب"³. ولكنّ كلامه بحاجة إلى معاودة نظر، فالعلة والسبب واضحان، وهما مقرونان بنظرة اجتماعية أخلاقية لشاعر التكسب، كانت تمقته، لأنّه يريق ما وجهه، ويستعطي بالشعر، فهي نظرة كانت تتدخل في حكم المتلقين على نتاج ذلك الشاعر، وتؤثر في حكمهم بطريقة أو بأخرى، ويؤكد ذلك ابن رشيق القيرواني إذ تحدّث عن موقف الجاهليين من التكسب بالشعر، فقال: "وكانت العرب لا تتكسب بالشعر، وإنّما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهاة، أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقّها إلا بالشكر إعظاماً لها"⁴. ثمّ يناقض الباحث نفسه في موضع آخر من كتابه، حين يعلّق على رأي الحطيئة في بيت زهير الأنف ذكره "ومن يجعل المعروف...، إذ جعله به أشعر الشعراء، فيجد تعليلاً وسبباً لهذا الرأي، فيقول: "ولعلّ تلك المعاني هي التي تقفها الحطيئة عن أستاذه زهير في هذا البيت الذي معناه التعريض بالطلب وليبقى عرض الكريم مصوناً، فإنّ أبي كان عرضه جديراً بأن يُتلم، وكان عرضة للهجو والشتم"⁵. وفي الحقيقة فإنّ حكم الحطيئة على أستاذه جاء بعد معرفته طبيعة ذلك الشاعر، وطبيعة شعره، فزهير، كما يقول ابن رشيق، لم يُعرف "باجتداء من يمدحه"⁶. والغريب في الأمر أنّ الحديدي عاد في موضع ثالث من كتابه، ليقول: إنّ مثل هذه الأحكام النقدية التي صدرت عن الحطيئة

1 - بمعنى أنفذهم.

2 - الأغاني، 193/2، العمدة، 79/1، السيوطي، المزهري، 481/2.

3 - الشعراء النقاد، ص76.

4 - العمدة، 80/1.

5 - الشعراء النقاد، ص77.

6 - العمدة، 81/1.

ولعل هذه المواقف كانت في أخريات حياة الشاعر الحطيئة حين بدأ يشعر بدنو الأجل، ويتأسف على شعره الذي لم يوظفه في مكانه الصحيح، ومدح به مَنْ لا يستحق المديح، طمعاً ورغبة بالأموال، ويؤكد ذلك أنه حين حضرته الوفاة، طلب إليه المجتمعون قربه أن يوصي، فأوصى، وكان ممّا أوصى به " قالوا: يا أبا مليكة، ألك حاجة؟ قال: لا والله، ولكن أجزع على المديح الجيد، يُمدح به من ليس أهلاً. قالوا: فمن أشعر الناس؟ فأومأ بيده إلى فيه، وقال: هذا الحجير إذا طمع في خير يعني فمه...². يتضح من هذه الوصية أمران:

أولاً: أن الشاعر نادم على التكبّب بالشعر، لأنه اضطره إلى مديح مَنْ ليس أهلاً للمديح. ثانياً: أن التكبّب قد أفسده، وأفسد شعره، ولولاهما لكان أشعر الناس. ففي قوله: " هذا الحجير إذا طمع في خير "، يرى أن التكبّب يدخل الشعر في باب الشرّ الذي يؤخر مرتبة الشاعر.

ووقف عدد من النقاد إلى جانب الآراء السابقة، فبيّنوا أن التكبّب بالشعر أسقط الشعراء المتكسّبين، وقد كانوا أعزّة في أقوامهم، ومنهم ابن قتيبة، وتجلّى ذلك في معرض ترجمته للنابغة الذبيانيّ إذ قال عنه: " وكان شريفاً فغضّ منه الشعر "³. ومثله الأديب الناقد أبو العلاء المعريّ الذي رفض التكبّب بالشعر، وسخر " من هذا الموقف في حياة الشاعر"⁴، فدفع " بطل رسالة الغفران الشيخ ابن القارح إلى ممارسة المديح على مختلف القوافي ليكون شعره شفيحاً له لدى رضوان وزفر الواقفين على بابين من أبواب الجنّة، فإذا سئل الشيخ ما الشعر، بلهجة الاستغراب⁵، قال: " كان أهل العاجلة يتقربون به إلى الملوك والسادات "⁶.

¹ - انظر الشعراء النقاد، ص93-94.

² - الأغاني، 197/2، الحمذوني، التذكرة الحمذونية، 164/3، الصفدي، الوافي بالوفيات، 73/11، الكتبي، فوات الوفيات، 279/1.

³ - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص87.

⁴ - إحسان عباس و تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص366.

⁵ - المرجع نفسه، ص366.

⁶ - المعري، رسالة الغفران، 242-243.

----- ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
ويذهب الشاعر يحيى بن نوفل اليماني¹ هذا المذهب، كما يبدو في قوله لبلال بن أبي
بردة الذي نقله ابن قتيبة²:

فلو كنت مُتدحاً للنوالِ فتى لا متدحتُ عليه بلالا
ولكنني لستُ ممن يريدُ بمدح الرجالِ الكرامِ السؤالا
سيكفي الكريم إخاءَ الكريم ويقنعُ بالودِّ منه النوالا

ويحمل الجاحظ، في كتاب البخلاء، على الشعراء المتكسبيين، ويحذر منهم ومن أخلاقهم، وجاء ذلك في رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب النقي إلى النقي، إذ عدّهم من صنف المخادعين المتملّقين في عصره، فقال: " إنّ التريّج والتكسّب والاستئكال بالخدّيعّة والطعم الخبيثة فاشية غالبية، ومستفيضة ظاهرة، على أنّ كثيراً ممن يُضاف اليوم إلى النزاهة والتكرم، وإلى الصيانة والتوقّي، ليأخذ من ذلك بنصيب وافر، وبمدّ واف، فما ظنك بدهماء الناس وجمهورهم؟ بل ما ظنك بالشعراء والخطباء الذين إنّما تعلّموا المنطق لصناعة التكسّب؟ وهؤلاء قوم بؤدهم أنّ أرباب الدول إلى الغفلة، حتى لا يكون للأموال حارس، ولا دونها مانع. فاحذرهم، ولا تنظر إلى بزة أحدهم، فإنّ المسكين أقنع منه، ولا تنظر إلى موكبه، فإنّ السائل اعفّ منه..³ ويستمرّ الجاحظ في التحذير منهم ومن أساليبهم في خداع الناس للحصول على أموالهم، فيعترف بقوة تأثيرهم في نفوس المتلقين، فيقول: " فاحذر رُفاهم، وما نصبوا لك من الشراك، واحرس نعمتك وما دسّوا لها من الدّواهي، واعمل على أنّ سحرهم يسترقّ الذّهن، ويختطفُ البصر، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلّم: " إنّ من البيان لسحرا..... واحذر احتمال مديحهم، فإنّ محتمل المديح في وجهه، كمداح نفسه"⁴.

ويشايعه في هذا الرأي الناقد ابن رشيق القيرواني حين تناول هذه القضية في " باب التكسّب بالشعر والأنفة منه"، و" باب من رفعه الشعر ومن وضعه" فكانت حملته على المتكسبيين من الشعراء ذوي المكانة المرموقة في أوقامهم، فبيّن أنّ تكسّب هؤلاء بالشعر

¹ - ترجمته في الشعر والشعراء، ص 497.

² - الشعر والشعراء، ص 498.

³ - الجاحظ، البخلاء، ص 122.

⁴ - المصدر نفسه، ص 123.

انحطاط لهممهم، وتقصير لمروعتهم، لأنهم لا حاجة لهم بالمال والجاه، وشعرهم أبقى لهم منه، وهو "أنفس ذخائر الرجال، وأنه إن خاطب به من فوقه، فقد رضي بالضراعة، وإن خاطب به كفاه ونظيره، فقد نزل عن المساواة، وإن خاطب به مَنْ دونه، سقط جملة"¹، ومن هنا شنّ ابن رشيق هجومه على الشعراء المتكسبين ذوي المكانة المرموقة في أقوامهم أمثال الأعشى والنابغة الذبياني، والشماخ بن ضرار، والحطيئة، وهذه أقواله: والشعر "يضع من قدر الشريف إذا اتّخذ مكسباً، كالذي يؤثر من سقوط النابغة الذبيانيّ بامتداحه النعمان بن المنذر، وتكسبه عنده بالشعر، وقد كان أشرف بني ذبيان"²، وقال: "حتى نشأ النابغة الذبيانيّ، فمدح الملوك، وقبل الصلّة على الشعر، وخضع للنعمان بن المنذر، وكان قادراً على الامتناع بمن حوله من عشيرته، أو من سار إليه من ملوك غسان، فسقطت منزلته، وتكسب مالا جسيماً"³. ويقول فيه الأصفهاني: "وهو أحد الأشراف الذين غضّ الشعر منهم"⁴.

وقال ابن رشيق في الحطيئة: "ثم إنّ الحطيئة أكثر من السؤال بالشعر، وانحطاط الهمة فيه، والإلحاف حتى مُقت، وذلّ أهله وهلمّ جرا، حتى حُرّم السائل، وعُدّم المسؤول"⁵. وقال في الشماخ بن ضرار: "وقدح ذلك في مروءة الشماخ، وخطّ من قدره، لسقوط همته عن درجة مثله من أهل البيوتات وذوي الأقدار"⁶، ولهذا نراه يعلي من شأن الشعراء الذين صانوا أنفسهم عن ذلّ السؤال، ويشيد بآراء النقاد والأدباء الذين مقتوا التكسب بالشعر والمتكسبين به، كما يشيد بالشعراء الذين ابتعدوا عن ذلّ المسألة أمثال ابن ميادة، الذي حكى عنه أنه مدح أبا جعفر المنصور بكلمته التي قال فيها:

فوجدتُ حين لقيتُ أيمنَ طائرٍ ووليتَ حين وليتَ بالإصلاحِ
وعفوتَ عن كسرِ الجناحِ ولم يكنْ لتطيرَ ناهضةً بغيرِ جناحِ
قومٌ إذا جلبَ التّناءُ إليهمُ بيعَ التّناءُ هناكَ بالأرباحِ

1 - العمدة، 43/1.

2 - المصدر نفسه، 40/1.

3 - المصدر نفسه

4 - الأغاني، 3/11.

5 - العمدة، 81/1.

6 - العمدة، 41/1.

----- ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
وأناه راعي إبله بلين، فشرّب، ثم مسح على بطنه، وقد عزم على الرحلة، فقال: سبحان
الله أفدُّ على أمير المؤمنين وهذه الشربة تكفيني؟! وصرف وجهه عن قصده، فلم يقد
عليه، هذا على أنه ساقاة الشعراء، فأنت ترى كبر نفسه، وبعد همته¹. وأشاد القيرواني
في هذا الصدد بالشعراء جميل بن معمر، وعمر بن أبي ربيعة، وعلي بن الجهم²، فقد
ذكر شعره في مديح الخليفة المتوكل وهو:

وما الشعرُ ممّا أستظلُّ بظلهِ ولا زادني قدراً ولا حطّ من قدري

ثمّ قال:

ولكنّ إحسانَ الخليفةِ جعفرٍ دعاني إلى ما قلتُ فيه من الشعرِ

وعلق عليه قائلاً: " فنذكر أنه لا يستظلُّ بظلِّ الشعر، ولا يتكسّب به، وأنه لم يزد
قدراً، لأنه كان نابه الذكر قبل عمل الشعر، ثم قال: ولا حطّ من قدري، فأحسن الاعتذار
لنفسه وللشعر. يقول: ليس الشعر ضعة في نفسه، ولا صنعته فيمن دون الخليفة، وما كفاه
ذلك حتى جعل نفسه بإزاء الخليفة، بل مكافئاً له بشعره على إحسان بدأه الخليفة به، ولم
يرض أن يجعل نفسه راغباً ولا مجدياً"³.

وتساهل ابن رشيقي في موقفه من الشاعر " ضئيل المنزلة، فأحب أن يرتفع فيها، فنال
بشعره الرتب، واتصل ذلك بالملوك، فليس ذلك بدعاً مستغرباً"⁴، ويستدل على رأيه
ببعض العلماء والفقهاء الذي قبلوا عطايا الملوك وصلاتهم أمثال عبد الله بن عمر،
والحسن البصري، وعكرمة، ومالك بن أنس، وغيرهم⁵، ثم يقول: " والشعراء في قبولها
مال الملوك أعذر من المتورّعين، وأصحاب الفتيا، لما جرت به العادة قبل الإسلام، وعلى
عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، وبعده.."⁶. ولكنه ظلّ متشدداً في مسألة الأخذ من
غير الملوك والأمراء، فحمل حملته على الحطيئة الذي قبل عطايا غير الملوك من أرادل
الناس وساققتهم، فقال: " فأما الحطيئة، ففتح الله همته الساقطة على جلاله شعره، وشرف

1 - المصدر نفسه، 83/1.

2 - انظر المصدر نفسه، 83/1، 42، 84.

3 - العمدة، 42/1.

4 - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص367.

5 - انظر العمدة، 83/1.

6 - العمدة، 83/1.

بيته، وقد كانت الشعراء ترى الأخذ ممن دون الملوك عاراً، فضلاً عن العامة، وأطراف الناس¹. وهذا الموقف المتساهل ليس بجديد، فقد سبقه إليه ليبيد بن ربيعة في الحوار الذي دار بينه وبين ابنته، فقد روي أن ليبيداً كان "جواداً شريفاً في الجاهلية والإسلام، وكان قد آلى في الجاهلية أن يُطعم ما هبَّت الصَّبَا، ثمَّ أدام ذلك في إسلامه، ونزل ليبيد الكوفة، وأميرها الوليد بن عقبة، فبينما هو يخطب الناس، إذ هبَّت الصَّبَا بين ناحية المشرق إلى الشمال، فقال الوليد في خطبته على المنبر: قد علمتم حال أخيكم أبي عقيل، وما جعل على نفسه أن يطعم ما هبَّت الصَّبَا، وقد هبَّت ريجها، فأعينوه. ثمَّ انصرف الوليد، فبعث إليه بمائة من الجُرُر، واعتذر إليه فقال:....، فلما وصلت الهدية إلى ليبيد، قال له الرسول: هذه هدية ابن وهب، فشكره ليبيد، وقال: إنِّي تركتُ الشعرَ منذ قرأت القرآن، وإنِّي ما أعياب جواب شاعر، ودعا ابنة له.. فقال: أجيبه عني، فقالت: "...، فلما فرغت، قال " ليبيد: أحببت وأحسنت لولا أنك سألت في شعرك، قالت: إنَّه بأمير وليس بسوقة، ولا بأس بسؤاله، ولو كان غيره ما سألتاه، قال: أجل! إنَّه لعلى ما ذكرت²، وفي رواية لباب الآداب " فقال لها أبوها ليبيد: أحسنت، لولا أنك سألت! فقالت: إنَّ الملوك لا يُستحي من مسألتهم، قال: وأنت في هذا أشعر³.

وعلى الرغم من ذلك كلَّه فإنَّ الشاعر المُقدِّم عند ابن رشيق: " من صنع الشعر فصاحة ولسناً، وافتخاراً بنفسه وحسبه، وتخليداً لمآثر قومه، ولم يصنعه رغبة ولا رهبة، ولا مدحاً ولا هجاء⁴. وهذا الرأي سبقه إليه الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وقد نقله ابن رشيق في العمدة " حكى عن علي بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، أنّه قال: لو أنّ الشعراء المتقدمين ضمّهم زمانٌ واحد، ونُصبت لهم راية، فجروا معاً علمنا من السابق منهم، وإذ لم يكن، فالذي لم يقل لرهبة ولا لرهبة، فقيل: من هو؟ فقال: الكندي " امرؤ القيس "، قيل: ولم؟ قال: لأني رأيتُه أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة⁵.

وهذا الموقف من شعراء التكبُّب أيّده الكلاعيّ، وهو يفاضل بين المنظوم والمنثور، فقد أورد قول أبي سعيد المخزوميّ الذي يصوّر الوضع البائس الذي آل إليه المتكسبون

1 - المصدر نفسه، 84/1.

2 - جمهرة أشعار العرب، ص57-58، الشعر والشعراء، ص169.

3 - أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص94.

4 - العمدة، 41/1.

5 - المصدر نفسه، 42/1.

----- ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم

من الشعراء إذ قرنهم بالكلاب في الاستعطاء:¹

الكلبُ والشاعرُ في حالةٍ يا ليتَ أنّي لم أكن شاعراً
أما تراهُ بأسطاً كَفّه يستطعمُ الوارد والصادر

ومن هنا نجده يثني على نظرة أبي العلاء المعري إليهم، فقال: " وما أعدل قول أبي العلاء المعري في خطبة الفصيح: " والشعرُ إذا جعل مكسباً لم يترك للشاعر حساباً، وإذا كان لغير مكسب حسن في الصفات والنسب "².

وتناول نقاد المعتزلة هذه القضية، في ثنايا حديثهم عن الدور النفعي والأخلاقي الذي ينبغي للشعر أن يقوم به، ومنهم أبو حاتم الرازي، فقد رأى هذا الناقد أن شاعر التكسب يهدف بشعره " إلى تحقيق منافع سياسية مباشرة، يوظف فيها الشعراء قصائدهم من أجلها "³، وتضرعوا وتملقوا، فأنحطت رتبته " واستهان بهم الناس "⁴. واضطرتهم هذه المنافع إلى الكذب حتى " خلطوا الباطل بالحق، وشابوا الكذب بالصدق، فقالوا في الممدوح فوق ما كان فيه، وقرظوه بما ليس له أهل "⁵.

وفي العصر المملوكي نجد الأديب الناقد زين الدين بن الوردي (ت749هـ)، يقف موقفاً متشدداً من التكسب بالشعر، هو يبين في غير موضع من ديوانه أنه ينأى بنفسه عن هذا الأمر، فيقول قبل إحدى قصائده في المديح " وقلتُ تأدباً لا تكسباً، ولم أرد بها معيناً، والحمد لله على الغنى، فأنا لا أمدح ولا أهجو، ولا أخاف حرمان أحد، ولا أرجو "⁶. ويعبر الشاعر في لامبته عن موقفه هذا ويدعو الشعراء إلى التزامه، لأنّ التكسب بالشعر يجعل المتكسب عبداً، ويحط من قدره، وقدر أشعاره⁷:

وانظم الشعرَ ولازم مذهبي فاطراخ الرّفدِ في الدنيا أقل
فهو عنوانٌ على الفضلِ وما أحسنَ الشعرِ إذا لم يُبتذلْ
أنا لا اختارُ تقييلَ يد قطعها أجملُ من تلك القبيلُ

1 - إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، ص44.

2 - المصدر نفسه، ص46.

3 - كريم الوائلي، الخطاب النقدي عند المعتزلة، ص300.

4 - الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية، 95/1.

5 - المصدر نفسه، 98/1. وانظر الخطاب النقدي عند المعتزلة، ص300.

6 - ديوان ابن الوردي، ص217، وانظر ص228-229.

7 - المصدر نفسه، ص236-237.

إن تجزني عن مديحي صرتُ في رقبها أولاً فيكفيني الخجل

وبيّن في شعر آخر أنّ سؤال الملوك بالشعر يلبس الشاعر ثوب الذلّ والعار، لأنّ الشعر يبقى والمال يذهب ويفنى، فإذا كان ولا بدّ من التكبّب بالشعر، فليكن بمديح الرسول محمد، صلى الله عليه وسلّم، لأنّ مديحه ينال عليه المؤمن الأجر والثواب الذي لا يفنى¹:

والله لو رجع الكرامُ ودهرهم عرضاً وعادت دولة الأخيار
لأنفت من مدحي لهم متكسباً فالكسب بالأمداح ثوب صغار
أعدّ من قصّادهم طلباً لما يفنى وتبقى وصمة الأخبار
أين الكرامُ وأين أهل مدائحي غير النبي الطاهر المختار

ولهذا كلّ جعل بعض النقاد

أولاً: عزّة النفس، وترك التكبّب بالشعر مقياساً من مقاييسهم في تقديم الشعراء، وهذا ما رآه الذين قدّموا عمرو بن كلثوم على غيره من الشعراء، لأنّه "من قدماء الشعراء، وأعزّهم نفساً، وأكثرهم امتناعاً، وأجودهم واحدة"².

ثانياً: ورأوا أنّ لظاهرة التكبّب دوراً في سقوط الشعراء، وتقدّم الخطباء عليهم، وهو ما نقله الجاحظ في البيان والتبيين. يقول الجاحظ: "وقال أبو عمرو ابن العلاء: كان الشاعر في الجاهلية يُقدّم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر، الذي يُقيد عليهم مآثرهم، ويُفخّم شأنهم، ويهول على عدوّهم ومنّ غزاهم، ويهيّب من فرسانهم، ويخوّف من كثرة عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم، فيراقب شاعرهم، فلمّا كثّر الشعر والشعراء، واتّخذوا الشعر مكسباً، ورحلوا إلى السوّقة، وتسرعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر، ولذلك قال الأوّل: الشعرُ أدنى مروءة السريّ، وأسرى مروءة الدنيّ. قال: لقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبيانيّ، ولو كان الدّهر الأوّل ما زاده ذلك إلا رفعة"³. وهو رأي كرّره ابن رشيق⁴ والمرزوقي⁵، وعبر عنه الرازي في كتاب الزينة، فقال

¹ - ديوان ابن الوردي، ص 316.

² - جمهرة أشعار العرب، ص 60.

³ - الجاحظ، البيان والتبيين، 241/1.

⁴ - انظر العمدة، 83-82/1.

⁵ - شرح حماسة أبي تمام، 17/1.

----- ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
مصوراً المكانة التي وصل إليها شعراء التكسب: " صاروا أتباعاً بعد أن كانوا
متبوعين... وسألوا بالشعر، وتملقوا للملوك والخلفاء، وتضرعوا إلى أهل الثروة
والأمراء، ونزلوا عن رتبته، واستهان بهم الناس، وقلّوا في أعينهم"¹.

ثانياً: وهناك رأي تبلورت معالمه بعد ظهور الإسلام، لا يرى بأساً على الشاعر إن
تكسب، وعلى الممدوح أن يكافئ ويجيز، ولكن وفق شروط هي:

1- الالتزام، بمعنى أن يلتزم الشاعر بالفكر الإسلامي، وأن تكون مضامين أشعاره
متناغمة مع الإسلام، فلا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه، ولا يخوض في موضوعات
حرّمها الإسلام، تثير النزعات، والخصومات، والشهوات الإنسانية، مثل شعر الهجاء،
والعصبية القبلية، والغزل الماجن الفاحش الصريح، وشعرة الخمرة، وما شابه ذلك.
فالدور " الخلقى للأدب قد تعمق بمجيء الإسلام، ذلك أنّ الكلمة، في المنظور
الإيماني، أمانة ومسؤولية، وهي عظيمة الخطر، جليلة القدر، لا يستهين بها امرؤ
مسلم، ولا يتعامل معها من غير روية واحتراز"².

2- أن يعطي الممدوح من ماله الخاص، لا من بيت مال المسلمين، لأنها أموال عامة، لا
حقّ له في إنفاقها إلا في موضعها الصحيح، ولا حقّ للشاعر فيها إلا وفق ضوابط
شرعية، حدّتها مصادر التشريع الإسلامي.

وقد عرف الرسول، صلى الله عليه وسلّم، دور الشعر في الحياة بعامة، وحياة العربيّ
بخاصة، فهو مؤثر إذا وُجّه وجهته الصحيحة، ويرى عليه السلام أن الشاعر عنصر فاعل
في مجتمعه، ينبغي أن يساهم ويشارك في نشر الإسلام، ومحاربة خصومه، ولهذا قال: " ما يمنع القوم الذين نصرّوا رسول الله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم"، وحثّ شعراء
الإسلام، وهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، على الدفاع بشعرهم
عن الإسلام والمسلمين، وهجاء أعدائه وأعدائهم، وكافأهم مكافأة دنيوية³ حين بنى لحسان
في مسجده منبراً، يقول عليه الشعر، وكافأه حين طلب إلى قادة جيشه يوم فتح مكة أن

¹ - الزينة، 62/1.

² - وليد قصاب، وظيفة الشعر في النقد العربي القديم، ص8.

³ - انظر، التبريزي، شرح ديوان الحماسة، 10-9/1، الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص70 وما بعدها،
الحصري، زهر الأدب، 62/1، الجليس الصالح، 252/1.

رائد مصطفى عبدالرحيم
يدخلوها من باب كداء الذي ذكره حسان في همزيتة، إذ تنبأ فيها بفتح مكة، فقال مخاطباً
كفار قريش¹:

عَدَمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تَنْثِيرَ النَّفْعِ مَوْعِدَهَا كِدَاءُ

ورد في العمدة " أنّ الناس أمروا بالسير إلى كداء تفتاؤلاً بهذا البيت ليصحّ"².

ومدح الشاعر عباس بن مرداس الرسول، صلى الله عليه وسلّم، " فكساه حلّة"³.
وكافأ الرسول، صلى الله عليه وسلّم، كعب بن زهير حين أتاه مسلماً، ومدحه بقصيدته
المشهوره، فكساه بردته⁴، وأضاف بعض الرواة أنّه أعطاه مئة من الإبل، وهذه الرواية
الأخيرة لا إجماع عليها⁵، وهي تنثير مجموعة من التساؤلات، وهي: هل هذه الإبل كانت
من بيت مال المسلمين، أم من مال الرسول، صلى الله عليه وسلّم، الخاص؟ وعلى كلّ
الأحوال، يُستبعد أن يكون الرسول، صلى الله عليه وسلّم، قد أعطى كعباً من بيت مال
المسلمين، وإلا لأصبح نهجه سنة، سار عليها الخلفاء من بعده، وهذا لم يحدث، بل تشدّد
فيه بعضهم، وبخاصة عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه.

وقد كان لهذه الحادثة دورها في تاريخ النقد، وفي موقف الشعراء والنقاد من جواز
التكسب بالشعر، وهذا ما يتضح من تعليق المقرّي عليها إذ قال: "..... ولولاها لمنع
المدح والغزل، وقُطع من أخذ الجوائز على الشعر الأمل، فهي حجة الشعراء فيما سلّكوه
"⁶. وقد جعل الشاعر الأحوص من موقف الرسول، صلى الله عليه وسلّم، وسيلة لتذكير
الخليفة عمر بن عبد العزيز حين توقّف عن عطاء الشعراء، فقال:⁷

وقبلك ما أعطى هنيئدة⁸ جلة على الشعر كعباً من سديس وبازل

¹ - انظر شرح ديوان حسان بن ثابت، ص57. وانظر وليد قصاب، وظيفة الشعر في النقد العربي القديم، ص6.

² - العمدة، 67/1.

³ - العقد الفريد، 337/1، الجليس الصالح، 252/1.

⁴ - انظر الشعر والشعراء، ص81، ابن سلام، طبقات الشعراء، ص67، الأغاني، 87/17، الزجاجي، أخبار أبي القاسم الزجاجي، ص391، العمدة، 24/1، النشائي الإربلي، المذاكرة في ألقاب الشعراء، ص55.

⁵ - وردت في كتاب العمدة، 24/1، وأخذها منه اليوسي في كتاب زهر الأكم في الأمثال والحكم، 89/1.

⁶ - المقرّي، نفع الطيب، 85/7.

⁷ - العمدة، 24/1، زهر الأكم في الأمثال والحكم، 89/1.

⁸ - اسم للمئة من الإبل.

ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم

رسولُ الإله المستضاءُ بنوره عليه السلامُ بالصُّحى والأصائلِ

أما عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الذي يقول فيه ابن رشيق: " كان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عالماً بالشعر"¹، من أنقد أهل زمانه له، " وأنفذهم فيه معرفة"²، فنهج نهج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذ كان يشجع الشعر الذي يتناغم مع الإسلام، والشاعر الذي يتبع هذا النهج، ويكافئه، يقول: " ارووا من الشعر أعفّه، ومن الحديث أحسنه.....، ومحاسن الشعر تدلّ على مكارم الأخلاق، وتنتهي عن مساوئها"³، وقال: " تعلموا الشعر فإنّ فيه محاسن تُبتغى ومساوئ تُتقى"⁴. ولهذا كان يقمّ زهير بن أبي سلمى على غيره من الشعراء، لأنّه "... لا يمدح أحداً بغير ما فيه..⁵. ويعلق ابن رشيق على قول عمر: وصفه بالصدق " في منطقته، لأنّه لا يحسن صناعة الشعر أن يعطي الرجل فوق حقّه من المدح، لئلا يخرج الأمر إلى التتقصّ والازدراء، كما أخذ ذلك على أبي الطيّب وغيره"⁶. وكان عمر، رضي الله عنه، يرى الشعر الصادق هو الذي يبقى بقيمه الخيرة، بينما المال الذي حصل عليه الشاعر يفنى، ويذهب، وهذا ما يتضح في الحوار الذي دار بينه وبين ابنة الشاعر زهير بن أبي سلمى، فقد سألتها، رضي الله عنه، " ما فعلت حلّ هَرَم بن سنان التي كساها أباك؟ قالت: أبلأها الدهرُ، قال: لكن ما كساها أبوك هَرَمًا لم يُبئله الدهرُ. وقال لبعض ولد هَرَم بن سنان: أنشدني ما قال فيكم زهير، فأنشدته، فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن، قال: يا أمير المؤمنين: إنا كنا نعطيه فنجزل، قال عمر: ذهب ما أعطيتموه، وبقي ما أعطاكم"⁷. ولهذا أراد عمر أن يُعاقب الحطيئة، لأنّ تكسبته جعله " يمدح الناس، ويذمهم بغير ما فيهم"⁸.

1 - العمدة، 76/1.

2 - المصدر نفسه، 33/1.

3 - جمهرة أشعار العرب، ص30، وانظر الحصري، زهر الآداب، 58/.

4 - زهر الآداب، 58/1.

5 - المصدر نفسه، ص47.77-578، طبقات الشعراء، ص62. وانظر تاريخ الطبري، 577/2-578، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 62/3-63، العمدة، 98/1. وهو يرى في ذلك رأي الرسول، صلى الله عليه وسلم، الذي قال في شعره: " إنا قد سمعنا كلام الخطباء والبلغاء، وكلام ابن أبي سلمى، فما سمعنا مثل كلامه من أحد ". الحصري، زهر الآداب، 90/1، المزهر، 482/2

6 - العمدة، 98/1.

7 - المصدر نفسه، 81/1.

8 - الأغاني، 189/2.

رائد مصطفى عبدالرحيم -----

وتدل أخباره، رضي الله عنه، أنه كان يجيز الشعراء، ولا يرفض هذا المبدأ، ولكنه كان يعطيهم من ماله الخاص، تشجيعاً لهم، ولفنهم الملتزم، وإعجاباً بمعاني أشعارهم. ومن الأدلة على أنه كان يجيز مكافأة الشعراء الملتزمين قصته مع الشاعر سحيم عبد بني الحساس، فيروى أن الأخير أنشد عمر قصيدته التي مطلعها:

عُميرةٌ ودَّعَ إنْ تجهزتَ غازياً كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهياً

" فقال له عمر: لو قدّمتَ الإسلامَ على الشيب لأجزتُكَ"¹. وفي رواية الأغاني " لو قلتَ شعركَ كلّه مثل هذا لأعطيكَ"².

وتفيد رواية أخرى أن عمر، رضي الله عنه، أعطى أعرابياً أعجبه شعره من ماله الخاص، فـ " عن أبي بكره قال: وقف أعرابيٌّ على عمر بن الخطّاب، رضوان الله عليه، فقال:

يا عمرَ الخيرِ جُزيتَ الجنّة أُكسُ بُنيّاتي وأمّهنة
أقسمتُ بالله لتفعلنّه

قال: فإن لم أفعل يكونُ ماذا؟ قال:

إذاً أبا حفصٍ لأذهبنّه

قال: فإذا ذهبتَ يكونُ ماذا؟ قال:

تكونُ عن حالي أتسألنّه يوم تكونُ الأعطياتُ يَمْنَه
والواقفُ المسؤولُ بينهنّه إمّا إلى نارٍ وإمّا جنّه

قال: فيكى عمر، رضوان الله عليه، حتى أخضلتَ لحيته، ثم قال يا غلام: أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره، أما والله ما أملكُ غيره"³. فلولا هذا الشعر الملتزم، وتأثر عمر به، لما كان أعطاه قميصه. وقد أتى الفقيه الأديب تاج الدين السبكي⁴ على موقف عمر بن الخطاب هذا في معرض هجومه على أرباب الدول الذين يفتحون خزائنهم للشعراء وغيرهم، فقال: " فانظره ما حصل عنده من الرقة الدينية لم ينعم إلا بما هو من

¹ - البيان والتبيين، 71/1-72.

² - الأغاني، 305/22.

³ - المجلس الصالح، 239/2، الأغاني، 189/2، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص133، السوافي، 72/11، تاج الدين السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص22-23.

⁴ - توفي سنة 771هـ.

----- ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
خاصة ماله، ولم يجد غير قميصه، وقد كانت خزائن الأموال مملوءة بين يديه. قال
العلماء: ولم يُعطه من بيت مال المسلمين وإن كان الأعرابي فقيراً مستحقاً، لأنّه لما
استنزله بشعره لم يكن العطاء لمصلحة المسلمين، فلم يُعطه من مالهم. قالوا: أو أنّه لم
يثبت عنده أنّ الأعرابي من جملة مصارف مال الصدقات¹.

ومن هنا يتبيّن أن الحكم الذي أصدره الدكتور ياسر الحورانيّ على عمر بن الخطاب،
رضي الله عنه، من أنّه " كان مانعاً لأيّ شكل للتكسّب بالشعر"²، هو حكم غير دقيق،
وإنّما كان حازماً في موقفه من الشعراء الذين ينفقون بضاعتهم الشعرية في الكذب، وهناك
أعراض الناس، ولولا ذلك لما اشترى أعراض الناس من الحطيئة بثلاثين ألف درهم³.
كما أنّ قصة الحطيئة مع عمر، رضي الله عنه التي سردّها د. الحوراني لتكون دليلاً
على ما ذهب إليه، هي دليل يناقض ما يقول، يروى أنّه " لما أطلق عمر بن الخطاب،
رضي الله عنه، الحطيئة من حبسه، قال له: يا أمير المؤمنين، اكتب لي كتاباً إلى علقمة
بن علاثة، لأقصده به، فقد منعتني التكسّب بشعري. فقال: لا أفعل. فقيل له: يا أمير
المؤمنين، ما عليك من ذلك؟ إنّ علقمة ليس بعاملك، فتخشى أن تأثم، وإنّما هو رجل من
المسلمين، تشفع له إليه. فكتب له بما أراد، فمضى الحطيئة بالكتاب، فصادف علقمة قد
مات، والناس منصرفون عن قبره، فوقف عليه، ثمّ أنشد.....، فقال له ابنه: يا حطيئة،
كم ظننت أنّ علقمة يُعطيك، قال: مئة ناقة. قال: فلك مئة ناقة يتبعها مئة من أولادها،
فأعطاه إياها⁴.

لا تدلّ هذه القصة على أنّ عمر، رضي الله عنه، قد منع التكسّب بالشعر، وإنّما منع
الحطيئة حين كان يهتك بشعره أعراض الناس، وكان يروج بضاعته الكاذبة في سبيل
المال. ولكنّه بعد أن تأكّد له أنّ الحطيئة لن يعود إلى سيرته الأولى، وتبيّن له أنّ علقمة
ليس من عماله الذين يمكن أن يكافئوا الحطيئة من بيت مال المسلمين، وافق على كتابة
الرسالة.

ومن الأمور التي جعلت عمر، رضي الله عنه، يقتنع بتغيّر سلوك الحطيئة، أنّ هذه

1 - السبكي، معيد النعم، ص 23.

2 - الشعر والتكسّب، ص 50، وانظر 52.

3 - انظر ابن الجوزي، الخليفة العادل عمر بن الخطاب، ص 89.

4 - الأغاني، 185/2، وفيات الأعيان، 191/5-192، القاضي التنوخي، المستجاد من فعلات الأجواد،
ص 78.

القصة حدثت بعد العقوبة المشهورة التي أنزلها عمر، رضي الله عنه، بالحطيئة عقب هجائه الزبيرقان ابن بدر، وبعد أن اشترى منه أعراض المسلمين، وقد بين الحطيئة أثر ذلك في حياته وشعره إذ قال مشيداً بالخليفة، رضي الله عنه¹:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتماً يضر ولا مديحاً ينفع
ومنعتني عرض البخيل فلم يخف شتمي وأصبح آمناً لا يفرغ

وقد كان عمر، رضي الله عنه، اجتمع بالحطيئة بعد أن عفا عنه، فقال " له: إيّاك والهزاء المقذع، قال: وما المقذع يا أمير المؤمنين؟ قال: المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف، وتبني شعراً على مدح لقوم، وذم لمن تعاديتهم. فقال: أنت، والله يا أمير المؤمنين، أعلم مني بمذاهب الشعر، ولكن حباني هؤلاء فمدحتهم، وحرمني هؤلاء، فذكرت حرمانهم، ولم أنل من أعراضهم شيئاً، وصرفت مدحي إلى من أراه، ورغبت به عن كرهه، وزهد فيه"². وبرز أثر هذه العقوبة، وتلك المحاورات في حياة الحطيئة وفكره، ولا أدل على ذلك موقفه من شعر التكبّ، والشعراء المتكسبين الذين يمدحون الرجال بغير ما فيهم، وهو موقف عرض له البحث آنفاً³.

وتؤكد أقوال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه كان يثني على الشعر الذي لا يخالف الإسلام، " ولا يُزري بقدر ولا مروءة"⁴، ويؤثر في نفسية الرجل الكريم، فيجبره على إعطاء الشاعر، وتلبية حاجته، كما يبدو في قوله: " نَعَمْ الهدية للرجل الشريف الأبيات، يقدّمها بين يدي حاجته، يستعطف بها الكريم، ويستنزل بها اللئيم"⁵.
أما الخليفة عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، فكان له موقفان من الشعراء المتكسبين:

أولاً: موقف حين كان والياً على المدينة المنورة قبل أن يتولّى الخلافة، فقد كان يومئذ يجيز الشعراء المتكسبين، ويغدق عليهم الأموال من بيت مال المسلمين، وأورد ابن قتيبة في الشعر والشعراء أن ذكينا الشاعر قال: " امتدحت عمر بن عبد العزيز، وهو والي المدينة،

1 - الأغاني، 189/2، العقد الفريد، 332/1، الخليفة عمر بن الخطاب، ص 89 .

2 - العمدة، 170/2. وانظر الأغاني، 187/2

3 - انظر العمدة، 5/1.

4 - المصدر نفسه، 82/1.

5 - الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 80/1، العمدة، 82/1.

----- ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم صعب¹. ويتابع ذكّين سرد قصته إذ قال: ثم أردتُ
السقرَ، وذهبتُ لأودّعه " فاستأذنتُ عليه، فأذن لي، فدخلته وعنده شيخان لا أعرفهما،
فودّعته، فقال لي: يا ذكّين، إن لي نفساً تواقّة، فإن أنا صرتُ إلى أكثر ممّا أنا فيه، فبِعِينِ
ما أرينك، فقلتُ: أشهدُ لي عليك بذلك، فقال: أشهدُ اللهَ به، قلتُ: ومن خلفه؟ قال: هذين
الشيخين².

ثانياً: موقف سار فيه عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، على هدي عمر بن
الخطاب، رضي الله عنه، وذلك بعد أن تولى الخلافة، وشعر بعظم المسؤولية التي ألقيت
على عاتقه، والأمانة التي حملها، فرفض أن يعطي الشعراء من بيت مال المسلمين³، لأنّه
لا حقّ لهم فيه، وإن اضطر إلى ذلك، كان يعطيهم من ماله الخاصّ، حتى إنّه كان يرفض
أن يضيع وقته مع الشعراء الذين كانوا يتملقون في أشعارهم، أو يخالفون مبادئ الإسلام
فيها، أمثال الفرزدق، والأخطل، وعمر بن أبي ربيعة، وكثير عزة⁴، ويتّضح هذا الموقف
من الحوار الذي دار بينه وبين جرير حين أذن له بالدخول عليه، قال عمر: " يا جرير،
ما أرى لك فيما ها هنا حقاً. قال: بلى يا أمير المؤمنين، أنا ابن السبيل، فتقطّع بي،
فأعطاه من صلّب ماله مئة درهم..... فأخذها وقال: والله لهي أحبُّ ما اكتسبته إليّ
من مال. ثمّ خرج، فقال له الشعراء: ما وراءك؟ قال: ما يسوؤكم؟ خرجتُ من عند أمير
المؤمنين، وهو يُعطي الفقراء، ويمنع الشعراء؟ وإنّي عنه لراضٍ، وأنشأ يقول:

رأيتُ رقى الشيطان لا تستفزّه وقد كان شيطاني من الجنّ راقياً⁵

فهو يفتخر بأن شيطانه الشعري استطاع أن يؤثّر في الخليفة عمر، فأعطاه من ماله
الخاص. ويبدو أنّ هذا الموقف كان له أثره في نفسية جرير، فخرج معجباً به يردده على
مسامع الشعراء الذين ينتظرونه في الباب، وعلى مسامع من صادفه منهم.

وجاء في العقد الفريد أنّ جريراً بعد أن دخل على الخليفة عمر بن عبد العزيز أنشده

1 - الشعر والشعراء، ص405.

2 - المصدر نفسه، ص405. وانظر الأغاني، 261/9، فوات الوفيات، 277/1، الوافي، 72/11.

3 - انظر الأغاني، 257/9.

4 - انظر ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص157، وابن حجة الحمويّ، ثمرات الأوراق،
ص78.

5 - سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص157، وانظر العقد الفريد، 340-336/1، الجليس الصالح،
256/1، ثمرات الأوراق، ص78.

هذي الأراملُ قد قضيتَ حاجتها فمَنْ لحاجةِ هذا الأرمِلِ الذِّكرِ

فقال: يا جرير، والله لقد وليت هذا الأمرَ وما أملكُ إلا ثلاثمائة، فمائة أخذها عبد الله، ومائة أخذتها أم عبد الله، يا غلام، أعطه المائة الباقية، فقال: والله يا أمير المؤمنين إنها لأحبُّ مالٍ إليّ كسبته، ثم خرج...¹.

ومن الأخبار التي تؤكد موقف عمر هذا، تكملة قصته مع الشاعر ذكّين، الذي وعده أن يُغدق عليه الأموال إذا ما تولى أمراً عظيماً، فيتابع الشاعر سرد قصته بعد انفصاله عن الخليفة، وليعذرني القارئ لطول النص، " فخرجتُ بهن² إلى بلدي، فرمى الله في أُنابهنّ بالبركة، حتى اعتقدتُ منهنّ الإبل والغلمان، فأني لبصحراء فلج إذا ناع ينعى سليمان بن عبد الملك، قلتُ فمن القائم بعده، قال: عمر. فتوجهتُ نحوه، فلقيني جريراً بالطريق جائياً من عنده، فقلتُ: يا أبا حرزة من أين؟ فقال: من عند من يُعطي الفقراء، ويمنع الشعراء. ولكن عوّل عليه في مال ابن السبيل. فانطلقتُ فإذا هو في عرصة داره، وقد أحاط الناسُ به، فلم يُمكنني الرجل إليه فناديتُ:

يا عمرَ الخيراتِ والمكارمِ وعمرَ الدسائِعِ العظائمِ
إني امرؤٌ من قطنِ بن دارمِ أطلبُ ديني من أخِ مكارمِ
إذ نتجسي واللهُ غيرُ نائمِ في ظلمةِ الليلِ وليلِ عاتمِ

فقام أبو يحيى، فقال: يا أمير المؤمنين، لهذا البدويّ عندي شهادة عليك. قال: أعرفها، أدنُ مني يا ذكّين، كما ذكرتُ لك، إن نفسي لم تنلُ أمراً إلا تآقتُ إلى ما هو فوقه، وقد نلتُ غاية الدنيا فنفسي تنوقُ إلى الآخرة، والله ما رزأتُ من أموال الناس شيئاً فأعطيتُك منه، وما عندي إلا ألفا درهم أعطيتُك أحدهما، فأمر لي بألف، فو الله ما رأيتُ ألفاً كان أعظم بركة منه⁴.

وإذا كان جرير وذكّين قد أعجبا بموقف عمر، وفرحا بأمواله، فإنّ كثير عزه قد ترك

¹ - ابن عبد ربه، العقد الفريد، 340/1.

² - يعني النياق التي أعطاها إياها الخليفة عمر بن عبد العزيز قبل أن يتولّى الخلافة.

³ - العطايا.

⁴ - الشعر والشعراء، ص 405-406. وانظر الأغاني، 261/9-262، العقد الفريد، 332-333/1.

----- ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
شعر النفاق الذي يتنافى مع تعاليم الإسلام حين التقى عمر بن عبد العزيز وحاوَره، وسمع
مواظمه، وقد أنشده كثير قصيدة يمدحه فيها، ويثني على موقفه الذي يدعو الشاعر إلى أن
يتوجّه نحو الآخرة بشعره، ومطلعها:

تكلّمَ بالحقّ المبينِ وإِنّما تبيّنُ آياتُ الهدى بالتكلم¹

ويُتبيّن من القصة أنّ الخليفة عمر قد أعطى كثيراً أموالاً²، كما أعطى رفيقيه
الأحوص، ونصيب، ولكن ذلك كان بعد أن وجد شعراً يلتزم تعاليم الإسلام، وبعد أن
عدّهم من أبناء السبيل الذين لهم حق في بيت مال المسلمين، وبعد أن ذكّروه بحقهم عليه،
وقرابتهم منه، ودور قبائلهم في الدفاع عن الإسلام، وذكّروه بموقف الرسول، صلّى الله
عليه وسلّم، من كعب بن زهير، وهذا ما يتجلّى في قول الأحوص إذ قال يمدحه، ويبيّن
الفرق بين موقفه من شعر المديح، وبين موقف سلفه من الخلفاء:

ولو لا الذي قد عودتتا خلائفٌ	وطاريف كانوا كالليوث اليواسل
لما وخذت شهرًا برحلي رسالةً	تقد متان البيد بين الرواحل
ولكن رجونا منك مثل الذي به	صرفنا قديماً من ذوبك الأوائل
فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ	وإن كان مثل الدرّ في فتل فاتل
فإن لنا قُربى ومحض مودةٍ	وميراث آباء مشوا بالمناصل
وذادوا عمود السلم عن عُقر دارهم	وأرسوا عمود الدين بعد التمايل
وقبلك ما أعطى هنيذة جلةً	على الشعر من سديس وبازل
رسولُ الإله المُستضاء بنوره	عليه سلامٌ بالضحي والأصائل
فكل الذي عدتُ يكفيك بعضُهُ	وقلُّك خيرٌ من بحور السوائل

وكان الشاعر منهم قبل أن ينطق بشعره يسبقه عمر بالقول: "ولا تقل إلا حقاً فإن الله
سائلك"، و "إن الله سائلك عن كل ما قلت"³:

ويبدو أنّ قضية ابن السبيل هي من ابتكارات جرير أولاً، ثم جعلها الشعراء وسيلة لنيل

¹ - انظر القصة بتمامها في الشعر والشعراء، ص334-335، الأغاني، 257/9.
² - انظر الأغاني، 260/9، العقد الفريد، 333-336/1. يروى أنه أعطى كثيراً والأحوص ثلاثمائة درهم،
ونصيب مائة وخمسين درهماً.
³ - الأغاني، 259/9، 260، العقد الفريد، 258/9.
مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية 2010، المجلد 12، العدد 1 ----- (443)

عطايا ابن عبد العزيز، بعد أن علموا أن لا سبيل لهم عليه بشعرهم.

الناقد وشعر التكبّ

يكشف البحث في كتب النقد والأدب والتراجم غير رأي، ووجهة نظر للنقاد العرب القدامى من الشعر الذي قيل بغرض التكبّ، واستدرار العطاء، وهذه الآراء هي الآتي:

1- نظر بعض النقاد إلى شعر التكبّ من وجهة نظر فنية إبداعية وجمالية، تتعلّق بصياغته، وقوّة تأثيره وجاذبيته، فرأوا فيه شعراً تتجسّد فيه أعلى درجات الإبداع، لأنّ التكبّ والرغبة حافز من حوافز الإبداع، فالشاعر المتكبّ يعلم أنه سيقف بين يدي ملك، أو خليفة، أو أمير، أو أحد أرباب السلطة الحاكمة، وهذا يقتضي منه تجويداً في شعره، يقنع المتلقين به. فيهزّ الكريم¹، ويُسخي الشحيح². كما أن التنافس الشديد بين الشعراء المتكسبين، يدفعهم إلى وضع إمكانياتهم الفنية والإبداعية لنيل الخطوة الكبرى، والمنزلة العليا، ويتضح ذلك في بعض آراء الحطيئة في مرحلة من مراحل حياته، فيروى أنّ عبد الرحمن بن أبي بكره قال: " يا أبا مُليكة، أي الناس أشعر؟ فأخرج لساناً دقيقاً كأنه لسان حيّة، فقال: هذا إذا طمع"³. وقد استشهد ابن قتيبة برأي الحطيئة حين تحدّث عن حوافز الإبداع الفني، وجعل الطمع والرغبة في مقدّمة تلك الحوافز، فقال: " وللشعر دواعٍ تحثُّ وتبعثُ المتكلّف منها الطمع والرغبة"⁴.

ويؤيّد ابن قتيبة رأيه بقول أبي يعقوب الخريميّ حين سأله أحمد بن يوسف الكاتب قائلاً: " مدائحك لمحمّد بن منصور بن زياد، يعني كاتب البرامكة، أشعر من مراثيك فيه وأجود، فقال: كنّا يومئذ نعملُ على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بون بعيد"⁵.

وهذا المبدأ اعتمده ابن قتيبة إذ تناول شعر الكميت بن زيد الأسدي الذي قاله في مديح الهاشميين، ومديح الأمويين، وقارن بين المديحين. فقد كان الكميت الأسدي محبّاً

1 - انظر الثعالبي، كتاب خاص الخاص، ص 76.

2 - انظر ابن طباطبا العلوي، كتاب عيار الشعر، ص 16.

3- الشعر والشعراء، ص 30، الأغاني، 170/2، وانظر، 167/2.

4 - الشعر والشعراء، ص 30.

5 - الشعر والشعراء، ص 30، ص 58، وانظر العمدة، 123/1.

----- ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
للهاشميين، ومسانداً الشيعة الزيدية، وعدواً لدوداً للأمويين، ولكنه حين اضطر إلى مديح
الأمويين خشية بطشهم، جاء شعره فيهم، كما يرى ابن قتيبة، أجود من شعره في
الهاشميين، ولا تفسير لذلك في نظره إلا الرغبة والطمع، وهذا ما عبّر عنه في قوله: "
وهذه عندي قصّة الكميت في مدحه بني أمية وآل أبي طالب، فإنه كان يتشيع وينحرف عن
بني أمية بالرأي والهوى، وشعره في بني أمية أجود من الطالبين، ولا أرى علّة ذلك، إلا
قوة أسباب الطمع، وإيثار النفس لعاجل الدنيا على أجل الآخرة"¹.

ولعلّ هذه النظرة الإبداعية لشعر التكسب، هي التي كانت حاضرة في ذهن عمر بن
الخطاب في محاوراته مع أبناء هرم بن سنان أنفة الذكر، إذ بيّن لهم أنّ ما أعطوه لزهير
قد ذهب. أمّا ذكرهم، فظلّ خالدًا بخلود شعر زهير فيهم. وليست هذه النظرة بعيدة عن
الأخطل في قوله مخاطباً بني أمية:²

أبني أمية إن أخذت كثيركم دون الأتنام فما أخذتم أكثر
أبني أمية لي مدائح فيكم تنسون إن طال الزمان وتذكر

ويشبههما موقف معاوية بن أبي سفيان الذي " قال لرجل من ولد قيس بن معديكرب:
ما أعطى أبوك الأعشى حين مدحه؟ فقال: ثياباً وإيلاً، وأشياء أنسيتها. قال: ولكنه أعطاه ما
لا يُنسى"³، ومثله ما يُروى عن عبد الله بن جعفر البرمكي، حين امتدحه نصيب الشاعر،
فأجزل له العطاء، فاعترض عليه أحد الحضور قائلًا: " أمثل هذا الأسود يُعطى هذا المال؟
فقال " عبد الله ": أما إنه لئن كان أسود، فإنّ شعره لأبيض، وإنّ مدحه لعربي، لقد استحقّ
بما قال أكثر ممّا نال، وما الذي أعطيناها؟ إنّما أعطيناها مالاً يفنى، وثياباً تبلى، ومطايأ
تنضى، وأعطانا ثناء يبقى، ومديحاً يُروى"⁴.

وقد تنبه يحيى بن خالد البرمكيّ إلى جودة شعر التكسب، وربط حسنه بعطاء الكرام،
وهذا ما يبدو في قوله: " المواعيد شبّاك الكرام، يصيدون بها محامد الإخوان، ألا تسمع
قولهم: فلان ينجز ويفي بالضمان، ويصدق في المقال، ولولا ما تقدّم من حسن موقع

1 - الشعر والشعراء، ص30.

2 - الخالديان، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، 1/266.

3 - المبرد، الفاضل في اللغة والأدب، ص 115.

4 - المصدر نفسه، ص115.

ووقف ابن رشيق القيروانيّ وقفات طويلة مع هذه القضية، فبيّن أن شعر التكبّس يقف في مقدمة الشعر الذي يتميّز بخصائص فنيّة راقية، وقد عبّر عن ذلك في معرض حديثه عن حوافز الإبداع الفنيّ، فبيّن أن الغنى والطمع " أفضل ما استعان به الشاعر "، وأنّ الفقر " آفة الشعر، لأنّ الشاعر إذا صنع قصيدة وهو في غنى وسعة نقحها، وأنعم النّظر فيها على مهل، فإذا كان مع ذلك طمّع قوى انبعثها من ينبوعها، وجاءت الرغبة بها في نهايتها محكمة"².

ونظر ابن رشيق القيروانيّ إلى شعر التكبّس تلك النظرة المميّزة له حين قارن بينه وبين موضوعات الشعر الأخرى، وحين اعتمد مبدأ مناسبة الكلام مقتضى الحال للتمييز بين أغراض الشعر المختلفة، فقال: " وقد قيل: لكلّ مقام مقال، وشعر الشاعر لنفسه وفي مراده، وأمور ذاته من مزح، وغزل، ومكاتبه، ومجون، وخرمية، وما أشبه ذلك غير شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السّمّاطين³: يُقبل منه في تلك الطرائق عفو كلامه، وما لم يتكلّف به بالاً، ولا ألقي به، ولا يُقبلُ منه في هذه إلا ما كان مُحكّكاً، مُعاوداً فيه النّظر، جيّداً، لا غثّ فيه، ولا ساقط، ولا قلق"⁴. ولهذا كلّه عدّ النقاد العرب القدامى شعر المديح الذي يُراد به التكبّس أعظم منزلة من الناحية الفنية من شعر الرثاء، لأنّ المديح يُعمل للرغبة، أما الرثاء، فلا " يُعمل رغبة أو رهبة"⁵. وفي الحقيقة إنّ هذه النظرة غير دقيقة، لأنّها إذا انطبقت على رثاء الأهل والأقارب والأحباء إلى القلب، فإنّها لا تشمل شعر الرثاء الذي قُصد به المجاملة، أو شعر رثاء أرباب الدول الذي يعمله الشاعر ليلقيه على مسامع وليّ العهد الجديد بقصد التكبّس والعطاء، ونيل الأموال والجوائز السنيّة.

ويتحدّث أبو هلال العسكري عن فضيلة الشعر، فيتناول شعر المديح الذي قيل بغرض التكبّس، فيبيّن سحره، وقوّة تأثيره في الممدوحين، فيقول: " ولا يفوزُ أحدٌ من مؤلّفي

1 - العسكري، المصون في الأدب، ص112.

2 - العمدة، 214/1.

3 - يقصد أمام أرباب الدول.

4 - العمدة، 199/1.

5 - المصدر نفسه، 122/1-123.

----- ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
الكلام كما يفوز به صاحبه من العطايا الجزيلة، والعوارف السنّية، ولا يهتزّ ملك أو
رئيس، كما يهتزّ له، ويرتاح لسماعه، وهذه فضيلة أخرى لا يلحقه فيها شيء من الكلام¹.

والغريب في هذا المقام أن الكلاعي الذي يحمل على الشعر والشعراء في زمانه
بخاصة، ويقدم المنثور على المنظوم، ويهاجم الشعر، لأنّه في نظره "أضيقه وصعوبة
طريقه، يحمل الشاعر على الغلوّ في الدين، حتى يؤول إلى فساد اليقين، ويحمله على
الكذب، والكذب ليس من شيم المؤمنين"²، الغريب أنّه يعترف بجودة شعر التكسّب،
ويربطه بالهدف الذي يقوله الشاعر من أجله، فيقول "ومن معاييه أنّه قلّما يجيده إلاّ
مكتسباً به، والدليل على ذلك قولهم: اللّهُ تفتقُ اللّهُ³، وقولهم: بيع الشعرُ بالسّعرِ،
وقولهم: لسان الشاعر لا تُخرجُ الزّهرَ حتى ينسكب المطر"⁴.

وقد صدر بعض النقاد العرب القدامى عن هذه الفكرة حين قدّموا شاعراً بعينه على
غيره من الشعراء، فجعلوا زهيراً أشعر الناس "إذا رغب"⁵، والنايعة أشعر الشعراء لأنّه
"أبعدهم غاية في شعره"⁶، ويُقصد بالغاية التكسّب حين كان يمدح المناذرة والغساسنة.

وهذه الجودة التي يحظى بها شعر المنكسبين، جعلت أبا عمرو بن العلاء ينصح
المُسْتَجِدِينَ بالشعر أن يهجووا الأعشى في شعره، أو أن يتمثلوه حين يستعطون، وهذا
ما يتجلّى في قوله مصوراً شعر الأعشى جوارح طير يُستعان بها في الصيد: "عليكم
بشعر الأعشى، فإنّه أشبه شيء بالبازيّ يُصطاد به"⁷. وفي رواية ابن سلام: "وكان أبو
عمرو بن العلاء يقول: مثله مثل البازيّ يضربُ كبير الطيرِ وصغيره"⁸.

2- ونظر بعض النقاد العرب القدامى إلى شعر التكسّب نظرة مضمونيّة، فرأوه يدخل في
باب الكذب والنفاق والشرّ، وهؤلاء نظروا إلى الفن من زاوية أخلاقية ودينية، فهذا

1 - الصناعتين، ص155.

2 - إحكام صنعة الكلام، ص44.

3 - الأولى بمعنى العطاء، والثانية الحلق.

4 - إحكام صنعة الكلام، ص45.

5 - الصناعتين، ص32، المزهر، 479/2.

6 - جمهرة أشعار العرب، ص49.

7 - المصدر نفسه، ص55.

8 - طبقات الشعراء، ص63، وانظر المزهر، 479/2.

الأصمعي يرى أن شعر الحطيئة الحسن قد فسد " بهجاء الناس، وكثرة الطمع"¹. ويصنّف الناقد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي، أستاذ ابن رشيق، شعر التكبّس في باب الشرّ إذ قسم الشعر إلى أربعة أنواع، فقال: " الشعر أربعة أصناف....، وشعرٌ هو شرٌّ كلّهُ، وذلك هو الهجاء، وما تسرّع به الشاعر إلى أعراض الناس، وشعرٌ يُتُكسّب به، وذلك أن يحمل إلى كلّ سوق يَنفق فيها، ويخاطب كلّ إنسان من حيث هو، ويأتي إليه من جهة فهمه"². فيكون الشعر بذلك سلعة، يحسّنها التاجر " الشاعر"، ويعرضها في حلّة بهية قشبية، لبييعها في سوق المتلقين، ويقبض ثمنها، ويضطره ذلك إلى تحسين القبيح، وتقبيح الحسن، فيكذب، ويزور، يقدّم صورة مزيفة للحقيقة. وتتحدّث ألفت كمال الروبي في كتابها " نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد"، عن مهمّة الشعر عند هؤلاء الفلاسفة، ومن هذه المهام التي تناولتها عندهم الغاية التربوية والأخلاقية³، فبيّنت أنّ الفارابي يقف موقفاً سلبياً من شعر التكبّس، لأنّه لا يسعى إلى غاية أخلاقية، وتربوية جيل صالح، لما يتضمّنه من تزوير للحقائق، يهدف منه الشاعر إلى منفعة شخصية، وتغذية " القوى الشهوانية"⁴، " ومن هنا نجده "يشنّ هجومه على الشعر العربي، لأنّه في النّهم والكديّة"⁵، على حدّ تعبيره. أما ابن سينا وابن رشد، فالشعر عندهما " يهدف إلى الحثّ على فعل أو الردع عن آخر، وهذا يرتدّ إلى أنّه لا يحاكي الذوات أو الأشخاص، بل يحاكي الأفعال التي يقوم بها الأشخاص. أمّا الشعر العربيّ (في رأيهما)، فهو شعر غير هادف، إنّه شعر انفعالي وذاتي، لأنّ العرب كانت تُعنى بمحاكاة الذوات، ولم تكن تقول الشعر للحثّ على فعل، أو الردع عن آخر، وإنّما كانت تقول الشعر لأحد أمرين، إمّا لاستمالة المتلقّي إلى أمر من الأمور، فيدفع إلى انفعال ما، أو فعل ما، وإمّا لإثارة الدهشة أو اللذّة فقط"⁶. ومن هنا نفهم أنّهما لا يعتدّان بشعر التكبّس، لأنّه لا ينطبق على وظيفة الشعر في رأيهما، ويسعى إلى استمالة الممدوح إلى العطاء.

1 - الأغاني، 170/2.

2 - العمدة، 118/1.

3 - انظر نظرية الشعر، ص 137.

4 - المرجع نفسه، ص 140.

5 - نظرية الشعر، ص 140.

6 - المرجع نفسه، ص 141.

----- ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
ويشايحهم في هذا الرأي أبو محمد بن حزم الأندلسي في سياق عرضه الأسس المهمة
"التربية النشء تربية خلقية قديمة، فنراه ينفى كل أنواع الشعر، ولا يُبقي منه إلا ما كان
مواعظ وحكماً"¹، ويرمي بالفسق من هجا مسلماً، أو مدح بالكذب، أو شَبَّ بحرم
المسلمين².

التكسب بالشعر ودوره في صياغة قضايا النقد العربي القديم

كانت ظاهرة التكسب بالشعر حاضرة في أذهان النقاد العرب القدامى وهم يفسرون
بعض قضايا الشعر القديم، ويصوغون توجيهاتهم النقدية. وفي الآتي عرض لتلك القضايا،

مقدمة القصيدة الجاهلية

لقد تناول ابن قتيبة في كتابه " الشعر والشعراء " هذه القضية، ووقف عند جوانبها
المختلفة محاولاً تقديم تفسيرات مختلفة لها. وحين تحدّث عن رحلة الشاعر، وتركيزه على
وصف الصعوبات التي كابدها هو وراحلته للوصول إلى الممدوح، ربط ذلك برغبته في
التكسب، وإقناع الممدوح بحجم معاناته، والمشاق والأهوال التي واجهها، وهو في طريقه
إليه، فتكون جائزته على قدر هذه المعاناة، يقول بعد حديثه عن وصف الدمن والأطلال،
والتغزل بالمرأة: " فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عَقَبَ بإيجاب
الحقوق، فرحل في شعره، فشكا النَّصَبَ والسَّهْرَ، وسُرَى الليل، وحرَّ الهجير، وإنضاء
الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أُوجب على صاحبه حقَّ الرجاء، وذمامة التأميل، وقرَّر
عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة، وهزَّه
للسَّماح..."³. ويرى درويش الجندي أن ابن قتيبة بهذا القول يدعو إلى المحافظة على نهج
القصيدة العربية القديمة⁴. ولكن ابن قتيبة، وإن دعا في كتابه الشعر والشعراء إلى ذلك، لم
يكن هنا داعياً، وإنما مفسراً لهذه المقدمة، وبالتالي، فإن قضية التكسب كانت حاضرة في
سياق التفسير، لا الدعوة إلى انتهاج نهج القدماء. ويؤيد ابن رشيق هذا التفسير الذي
قدّمه ابن قتيبة إذ قال: " والعادة أن يذكر الشاعر ما قطع من المفاوز، وما أنضى من
الركائب، وما تجشّم من هول الليل وسهره، وطول النهار وهجير، وقلة الماء وغووره،

¹ - نجوى صابر، النقد الأخلاقي أصوله وتطبيقاته، ص 31.

² - انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 488

³ - الشعر والشعراء، ص 28.

⁴ - انظر ظاهرة التكسب، ص 181.

رائد مصطفى عبدالرحيم

ثمّ يخرج إلى مدح المقصود، ليجب عليه حقّ القصد، وذمام القاصد، ويستحقّ منه المكافأة¹. ثمّ يبيّن ابن رشيق أنّ هذه المقدّمة من عادة الشعاع الجاهلي أو ابن الصحراء. أما أهل الحضرة في زمانه من شعراء بلده أو غيرهم، فإنّهم يجتنبون الابتداء بذكر الناقة والصحراء، ووصف المعاناة، ويدعوهم إلى ترك ذلك، لأنّه ليس من خصائص عصرهم وبلدهم، ولأنّه يخرج شعرهم عن الحقيقة، وبخاصة أولئك المادحين الذين يقطنون بلد الممدوح، ولا يفدون إليه من مناطق بعيدة، كما يبدو في قوله: "وليس في زماننا هذا، ولا من شرط بلدنا خاصة شيء من هذا كلّه، إلاّ ما لا يُعدّ قلّة، فالواجب اجتنابه، إلاّ ما كان حقيقة، لا سيّما إذا كان المادح من سكّان بلد الممدوح، يراه في أكثر أوقاته، فما أقبح ذكر الناقة والفلاة حينئذ"².

حوافز الإبداع الفنيّ

استحضر النقاد ظاهرة التكبّب بالشعر، وهم يتحدّثون عن الحوافز التي تحتّ الشاعر على قول الشعر، وتجعل من هذا الشعر عملاً فنياً راقياً، فوضعوا الرغبة والطمع في مقدّمة هذه الحوافز. وقد أفرد هذا البحث جانباً للحديث عن هذا الأمر تحت عنوان "النقاد وشعر التكبّب"³، إذ بيّن أنّ الرغبة في العطايا والأموال، تدفع الشعراء إلى التجويد في أشعارهم التي سيلقونها على مسامع أرباب الدول، أو أغنياء الناس وساداتهم. فهذه الأشعار كانت دليلاً اتّخذها النقاد القدامى على أنّ الطمع والرغبة تحفز على الإبداع والتجويد، وأفردوا لها حديثاً في مؤلفاتهم النقدية، ومنهم ابن قتيبة، وابن رشيق الذي يقول: "وقالوا قواعد الشعر أربع: الرغبة...، فمع الرغبة يكون المدح والشكر"⁴. وقد جعل بعض الشعراء والنقاد، ومنهم أبو علي البصير، ودعبل الخزاعيّ "الرغبة غاية لا مزيد عليها"⁵، وحافزاً على قول الشعر، وبخاصة المديح منه .

شعر المديح

كانت ظاهرة التكبّب بالشعر، والرغبة في العطاء حاضرة بجلاء في التوجيهات

1 - العمدة، 226/1.

2 - المصدر نفسه، 230/1.

3 - انظر ص 19.

4 - العمدة، 120/1.

5 - المصدر نفسه، 121/1. وانظر، 123/1.

----- ظاهرة التكبس بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
النقدية التي قدّمها النقاد العرب القدامى لشعراء المديح، فقد حرص هؤلاء على أن تخرج
قصيدة المديح منحوتة نحتاً، ومسبوكة سبكاً محكماً لتلائم مقام المديح، وتتال رضى
الممدوحين، فيغدقون أموالهم على الشاعر. ومما يؤكد حضور ظاهرة التكبس بالشعر في
أذهانهم الآتي:

- 1- أنهم ربطوا الجانب التطويري في عرض المديح بالعطاء والحرمان، وكرّروا هذه
المفردات غير مرّة في أفو الهم.
 - 2- أنّ أمثلة كثيرة دلّوا بها على آرائهم، تتعلّق بقبول أرباب الدول لهذا الشعر، أو
رفضهم له. فما أعجب أولئك الساسة من معنى أو مبنى أو أسلوب، دعوا الشاعر إلى
التزامه، وما خالف هواهم من ذلك كلّه، دعوه إلى اجتنابه¹.
- تناول النقاد قصيدة المديح من حيث المبنى، والمعنى، واللغة، والحجم، وتفصيل ذلك،

بنية قصيدة المديح

لقد حتّ النقاد العرب القدامى شعراء المديح على التجويد في مقدّمات قصائدهم،
ومطالعها، أو ما أسموه بحسن الابتداء، وفي خاتمتها.

أمّا المقدّمة، فاشتراطوا أن تكون قصيرة غير طويلة كي لا تُدخل الملل في نفوس
الممدوحين، لأنّ دخول الملل إلى نفوسهم يكون مدعاة لحرمان الشعراء من العطاء، أو
التقليل منه، وهذا ما عبّر عنه ابن رشيّق حين بيّن إعجاب عمر بن العلاء، صاحب
الخليفة المهدي بشعر أبي العتاهية في المديح، " فأعطاه سبعين ألفاً، وخلق عليه حتى لم
يستطع أن يقوم، فغار الشعراء لذلك، فجمعهم، ثمّ قال: عجباً لكم معشر الشعراء ما أشدّ
حسد بعضكم لبعض، إنّ أحدكم يأتينا ليمدحنا، فينسب بقصيدته بصديقتة بخمسين بيتاً، فما
يبلغنا حتى تذهب لاذة مدحه، ورونق شعره، وقد أتى أبو العتاهية، فنسب في أبيات
قصيرة"².

وينصح ابن طباطبا العلويّ شاعر المديح في مقدمته الغزلية أن يتجنّب التشبيب بمن
"يوافق اسم بعض نساء الممدوح من أمّه، أو قرابة، أو غيرها"³، لأنّ ذلك قد يجلب سخط

¹ - انظر ظاهرة التكبس، ص 169.

² - العمدة، 2/133.

³ - عيار الشعر، ص 163، المثل السائر، 2/224.

رائد مصطفى عبدالرحيم

المتلقين من الممدوحين، فينقلب النعيم الموعود جحيماً. ولربما كان ابن طباطبا يستحضر النابغة الذبياني، وقصته مع النعمان بن المنذر، حين شَبَّب، أو اتُّهم بأنَّه شَبَّب بزوجه المتجرده، فأهدر دمه، وطارده في البلاد، فانقلبت حياة الشاعر المترف المتنعم بؤساً وشقاء. ومثل هذا كان حاضراً في توجيهات العلويِّ إذ قال: "فأما ذكر الأمهات والجَدَّات، فليس محموداً عند البلغاء، وأهل العلم بالمدائح الشعريَّة لما فيه من الرِّكَّة، وإنزال قدر الممدوح"¹.

ودعا النقاد المادح أن يحسن في مطلع قصيدته، فيأتي فيه بأسلوب ومضامين تجذب انتباه المتلقين الممدوحين، وتلائم مقام المديح، فتدعو المتلقين إلى الإصغاء والطرب، فطلبوا إليه أن يتجنب في ابتداءه " ومفتتح أقواله ممَّا يُنطير به، أو يُستجفى من الكلام، كذكر البكاء، ووصف إقفار الديار، وتشتت الألاف، ونعي الشباب، وذم الزمان"²، " فإنَّ الكلام إذا كان مؤسساً على هذا المثال يطير منه سامعه"³. ويتحدث ابن حجة الحموي عن أهمية حسن الابتداء أو براعة الاستهلال في غرض المديح فقال: " وقد نبه مشايخ البديع على يقظة الناظم في حسن الابتداء، فإنَّه أول شيء يقرع الأسماع، ويتعين على ناظمه النظر في أحوال المخاطبين والممدوحين، وتفقد ما يكرهون سماعه، ويتطرون منه، ليتجنب ذكره، ويختار لأوقات المدح ما يناسبها، وخطاب الملوك في حسن الابتداء هو العمدة في حسن الأدب"⁴. وقد اعتمد أولئك النقاد في صياغة أفكارهم على أمثلة من حسن الابتداء نالت قبول أرباب الدول أو رفضهم، فكانت سبباً في المنع أو العطاء، وهي أمثلة من شعر جرير، والأخطل، والمتنبي، وأبي النجم، وأبي نواس، والبحتري، وغيرهم⁵، ومنه أن ذا الرمة دخل " على عبد الملك بن مروان، فاستشده شيئاً من شعره، فأنشده قصيدته:

ما بال عينك منها ينسكبُ كأنه من كلى مفرية سربُ

1 - كتاب الطراز، 94/3.

2 - المصدر نفسه، 162، الصناعتين، ص489، المثل السائر، 224/2.

3 - الصناعتين، ص489.

4 - خزنة الأدب، 21/1.

5 - انظر الصناعتين، ص489-490. وانظر المثل السائر، 224/2 وما بعدها، خزنة الأدب، 21/1 وما بعدها.

----- ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
وكان يعين عبد الملك ريشة، وهي تدمع أبداً، فتوهم أنه خاطبه أو عرض به، فقال:
ما سؤالك عن هذا يا جاهل؟ فمقته، وأمر بإخراجه¹.

"ومن قبيح ما وقع لأبي نواس الذي أساء فيه أدبه، وخالف فيه مذهبه، أن بعض بني برمك بنى داراً، واستفرغ فيها مجهوده، وانتقل إليها، فصنع أبو نواس في ذلك الحين أو قريباً منه قصيدة يمدحه بها يقول أولها:

أربع البلى إنَّ الخشوعَ لبادٍ عليكَ وإنِّي لم أخنكَ ودادي
وضمتها أو كاد بقوله:

سلامٌ على الدنيا إذا ما فقدتم بني برمك من راتحين وغادي

فتطير منها البرمكي، واشمأز حتى كلح، وظهرت الوجمة عليه، ثم قال: نعتت إلينا أنفسنا يا أبا نواس فما كانت إلاً مديدة حتى أوقع بهم الرشيد وصحت الطيرة². وقد علق ابن الأثير على مثل هذه الابتداءات بقوله: "وافتح المديح بذكر الديار ودورها مما يُنتظر منه، لا سيما في مشافهة الخلفاء والملوك، ولهذا يُختار في ذكر الأماكن والمنازل ما رق لفظه، وحسن النطق به كالعذيب، والغوير، ورامه، وبارق، والعقيق، وأشباه ذلك"³.
"ومن هذه الجهة بعينها عابوا على أبي الطيب المتنبّي خطابه لمدوحه في مطلع قصيدته حيث قال:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا⁴

يقول الثعالبي معلقاً عليه: "وفي الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة، التي تنفر منها السوقة فضلاً عن الملوك"⁵.

ثانياً: حجم قصيدة المديح

1 - الصناعتين، ص489، العمدة، 222/1.

2 - العمدة، 224/1، وانظر الصناعتين، ص 489-490.

3 - المثل السائر، 227/2.

4 - خزانة الأدب، 22/1.

5 - الثعالبي، ينيمة الدهر، 182/1.

ناقش النقاد حجم قصيدة المديح، وصاغوا آراءهم في هذه القضية مستعينين بعلاقة شعراء التكتب بمدحهم من أرباب الدول، وأشعارهم فيهم، فرأوا أن الممدوحين كان يعجبهم القصائد قصيرة الحجم، فهي التي تستدعي قبولهم للاستماع، ويتوقف عليها مقدار العطاء، أو الحرمان، وينقل ابن رشيق آراء عدد من الشعراء والنقاد في هذا المضمار، ومنهم جرير الذي يقول ناصحاً ابنه: "يا بني إذا مدحتهم، فلا تطيلوا الممدوحة، فإنه يُنسى أولها، ولا يُحفظ آخرها، وإذا هجوتهم، فخالفوا"¹. أما أبو العباس المبرد، فيقول: "من الشعراء من يُجمل المدح، فيكون ذلك وجهاً حسناً، لبلوغه الإرادة مع خلوه من الإطالة، وبُعدّه من الإكثار، ودخوله في الاختصار"². ويُلاحظ أن عبارة "بلوغ الإرادة"، عبارة تكسبية.

ويأتي النقاد بأمثلة على قبول أرباب الدول الإيجاز في المديح، ودعوتهم إليه، وإغداقهم الأموال على الموجز من المدائح، فيروي ابن رشيق أنّ الفرزدق دخل "على عبد الرحمن ابن أمّ الحكم، فقال له عبد الرحمن: أبا فراس دعني من شعرك الذي لا يأتي آخره حتى يُنسى أوله، وقال: قل في بيتين يعلقان بالرواة، وأنا أعطيك عطية لم يُعطيها أحدٌ قبلي، فغدا عليه وهو يقول:

وأنتَ ابنُ بطحاوي قريشٍ وإنْ تشأَ تكنُ من تقيفِ سيلِ ذي خدرٍ عمُرِ
وأنتَ ابنُ سوارِ الديدنِ إلى العُلا تكفتُ بكَ الشَّمسُ المضيئةَ للبدْرِ

فقال: أحسنتَ، وأمر له بعشرة آلاف درهم"³.

وكان الحجاج بن يوسف التقيّ يدعو مادحيه إلى الإيجاز، وكان يجري منافسة بين الشعراء في ذلك، ويكون للموجز منهم نصيب الأسد من الهبات والعطايا، يذكر أبو هلال العسكري أنّ جريراً والفرزدق اجتمعا "عند الحجاج، فقال: مَنْ مدحني منكما بشعر يوجز فيه، ويُحسن صفتي، فهذه الخلعة له، فقال الفرزدق:

فمنْ يأمُنِ الحجاجَ والطيرُ تنقي عقوبته إلا ضعيف العزائم

فقال جرير:

¹ - العمدة، 128/2.

² - المصدر نفسه، 137/2.

³ - العمدة، 128/2-129.

ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
فمن يأمن الحجاج أمّا عقابُه فمراً وأمّا عقده فوثيقُ
يسرُّ لك البغضاء كلُّ منافق كما كلُّ دينٍ عليك شفيق

فقال الحجاج للفرزدق: ما عملت شيئاً، إنَّ الطيرَ تفرُّ من الصبيِّ والخشبة، ودفَع
الخلعة إلى جرير¹. وهذه القصة تدلُّ على أنَّ الإيجاز الذي يريده النقاد والممدوحون من
أرباب الدول ينبغي ألا يكون مخللاً، وإنَّما جامعاً لفضائل الممدوح ومحاسنه، ولهذا استحقَّ
جرير خلعة الحجاج.

ثالثاً: لغة المديح ومعانيه:

صاغ النقاد العرب القدامى رؤيتهم في لغة المديح ومعانيه بعد أن استوعبوا وتمثلوا
ما نال رضا السلطة الحاكمة منها، وما كرهته، ولهذا ازدحمت الأصول التي وضعوها
بأمثلة مأخوذة من علاقة الشاعر بأرباب تلك السلطة، كما يبدو في قولهم: "ومن أفضل ما
مدح به الملوك، وأكثره إصابة للغرض ما ناسب قول ابن هرمة للمنصور"، "وقول أبي
العتاهية في مدح الهادي"، "وقول الحزین الكنانی في عبد الله بن عبد الملك بن مروان وقد
وفد عليه بمصر"².

رأى النقاد أنَّ معاني المديح ينبغي أن تكون واضحة وملائمة مقام الممدوح، وهذه
الملائمة تقتضي المبالغة والغلو في الإشادة بأوصاف الممدوح، وتقتضي اختيار الألفاظ
النقية الجزلة البعيدة عن السوقية، والأسلوب المشوق غير المُملِّ. وجعلوا هذه التوجهات
عنواناً لنيل عطاء الممدوح، وتجنَّب سخطه وحرمانه، وهذا ما عبَّر عنه ابن رشيق إذ قال:
"وسبيل المادح إذا مدح ملكاً أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح، وأن
يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقيّة، غير مبتذلة سوقية، ويجتنب مع ذلك، التقصير
والتجاوز والتطويل، فإن للملك سامة وضجرا، وربّما عاب من أجلها ما لا يُعاب، وحرَم
مَنْ لا يريد حرمانه"³. أمّا ابن طباطبا، فيقول ناصحاً المادحين: "فيخاطب الملوك بما
يستحقونه من جليل المخاطبات، ويتوقّى حطّها عن مراتبها، أو أن يخلطها بالعامية..⁴"

¹ - الصنائع، ص 117.

² - العمدة، 2/138.

³ - العمدة، 1/128.

⁴ - عيار الشعر، ص 44.

رائد مصطفى عبدالرحيم

فإذا كان المديح ناقصاً عن الصفة التي ذكرناها، كان سبباً لحرمان قائله، والمتوسّل به¹. ودعا النقاد شاعر المديح أن يكثر من الإشادة بأوصاف الممدوح المعنوية، وبيّنوا أنّ التركيز على محاسن الجسد مما يبغضه أرباب الدول، وهو عيب من عيوب المديح، وهذا ما يوضحه أبو هلال العسكري في قوله: "ومن عيوب المديح عدول المادح عن الفضائل التي تختصّ بالنفوس، من العقل، والعدل، والشجاعة، إلى ما يليق بأوصاف الجسم من الحُسن والبهاء والزينة، كما قال ابن قيس الرُقَيْتات في عبد الملك بن مروان:

يَأْتَلِقُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ

فغضب عبد الملك، وقال: قد قلت في مصعب "ابن الزبير":

إِنَّمَا مِصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّـمِّ ——— تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلْمَاءُ

فأعطيتُهُ المدح بكشف الغمّ، وجلاء الظلم، وأعطيتني من المدح ما لا فخرَ فيه، وهو اعتدال التاج فوق جبيني، الذي هو كالذهب في النّضارة². ونصحوا المادح ألاّ "يمدح الملك ببعض ما يتّجه في غيره من الرّؤساء، وإن كان فضيلة، وذلك مثل قول البحتريّ يمدح المعتزّ بالله:

لَا الْعَدْلُ يَرُدُّعُهُ وَلَا التَّعَدُّ ——— نَنِيفٌ عَنْ كَرَمِ يَصْدُهُ

فإنه ممّا أنكره عليه أبو العباس أحمد بن عبد الله، وقال: مَنْ ذَا يُعَنَّفُ الْخَلِيفَةَ عَلَى الْكَرَمِ أَوْ يَصَدِّه؟ وهذا بالهجاء أولى منه بالمدح. وعيب على الأخطل قوله في عبد الملك:

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الْخِلَافَةَ مِنْهُمْ لِأَبْيَضَ لَا عَارِي الْخِوَانِ وَلَا جَدْبَ

وقالوا: لو مدح بها حرسياً لعبد الملك، لكان قد قصر به³. وأورد ابن الأثير في المثل السائر معاني كثيرة أساء فيه الشعراء، ونصحهم بتجنبها، كي يصبح شعرهم مقبولاً عند أرباب السلطة، وينالوا ما يتمنون⁴، ومنه قوله معلّقاً على

¹ - المصدر نفسه، ص 47.

² - الصناعتين، ص 114.

³ - العمدة، 2/129. وأمثلة ذلك كثير. انظر العمدة، 2/130 وما بعدها، الصناعتين، ص 117..

⁴ - انظر المثل السائر، 2/304 وما بعدها.

ظاهرة التكبس بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم

قول أبي تمام مادحاً:

أنت دلوٌ وذو السّماح أبو مو سى قليبٌ وأنت دلوُ القليبِ

ومراده من ذلك أنه جعله سبباً لعطاء المشار إليه كما أنّ الدلو سبب في امتياح الماء من القليب، ولم يبلغ هذا المعنى من الإغراب إلى حدّ يدندن أبو تمام حوله هذه الدندنة، ويُلقبه في هذا المثال السّخيف، على أنه لم يقنع بهذه السقطة القبيحة في شعره بل أوردتها في مواضع أخرى..¹

ولا شك أنّ مثل هذه التوجيهات، والتدخلات من النقاد العرب القدامى تساهم في جعل شاعر المديح إمعة، يبتعد عن الذات، والتعبير النفسي الصادق² في شعره، وتجعله يتصنّع القول والمشاعر في سبيل الحصول على العطايا ورضا أرباب الدول. وعلى الرغم من ذلك فلا ينبغي أن نحمل هؤلاء النقاد الوزر الكبير، والمسؤولية النهائية عن هذا، كما فعل درويش الجندي³، فهم في نهاية المطاف مفسّرون، يضعون أيديهم على ظاهرة شاعت وانتشرت، وبناء عليها، يقدّمون نصائحهم، للشعراء المتكسبين، الذين يسعون إلى ذلك الانحراف، ولا هدف لهم سوى الربح، وجني المكاسب والأموال. وقد رأينا في صفحات سابقة أنّ عدداً لا بأس به من النقاد العرب القدامى يرفضون مثل هذا الشعر، ويمقتون شعراء التكبس ويزدرونهم.

شعر الاقتضاء والاستنجاز:

لقد أفرد ابن رشيق لهذا الغرض الشعريّ باباً خاصاً في أغراض الشعر، وجاءت توجيهاته فيه نابعة من استحضاره ظاهرة التكبس بالشعر، بل لعلّ تسمية الباب بهذا الاسم كانت بإيحاء من تلك القضية، يقول: " فالاقتضاء طلب الحاجة، وباب التلطيف فيه أجود "، " فالاقتضاء الخشن ربّما كان سبب المنع والحرمان، وداعية القطيعة والهجران "⁴. وهذا الغرض يمكن أن يكون جزءاً من قصيدة المديح، أو غرضاً شعرياً قائماً بذاته. ثمّ يأتي الناقد بأمثلة للاقتضاء الحسن، وينصح الشعراء أن يأتوا بمثله كي ينالوا حاجتهم

¹ - المثل السائر، 307/2.

² - انظر ظاهرة التكبس، ص 172، 190، 256.

³ - انظر المرجع نفسه، ص 363.

⁴ - العمدة، 158/2.

رائد مصطفى عبدالرحيم

ومبتغاهم، فيقول: " فمن أحسن الاقتضاء، على ما تخيرته، ونحوت إليه، قول أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جدعان....."، ثم يعلّق عليه: " فأنت ترى هذا الاقتضاء كيف يُلين الصّخر، ويستتزل القطر، ويحطّ العُصم إلى السهل"¹.

شعر الاعتذار:

استوحى ابن رشيق في تنظيره لشعر الاعتذار ظاهرة التكبّب بالشعر، وبخاصة الاعتذار للملوك وأرباب الدول، فقد نبّه إلى أنّه " لا ينبغي للشاعر أن يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه "، وإن اضطر الشاعر إلى ذلك " فليذهب مذهباً لطيفاً، وليقصد مقصداً عجبياً، وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه، وكيف يمسح أعطافه، ويستجلب رضاه، فإنّ إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل، لا سيما مع الملوك وذوي السلطان، وحقّه أن يلطّف برهانه مدمجاً في التصرّح والدخول تحت عفو الملك، وإعادة النظر في الكشف عن كذب الناقل، ولا يعترف بما لم يجنه خوف تكذيب سلطانه أو رئيسه، ويُحيل الكذب على الناقل والحاسد"². وقد بنى ابن رشيق توجيهاته على أمثلة من شعر الاعتذار عند شعراء التكبّب، وبخاصة النابغة الذبياني، الذي اشتهر في هذا الموضوع³، في اعتذارياته للنعمان بن المنذر حتى استطاع أن يستجلب رضاه، ويتجنب سخطه. فمن أراد أن يعتذر لملك، في رأي ابن رشيق، عليه أن يسلك طريقة النابغة في الاعتذار، وطريقة من سلخوا نهجه فيما بعد أمثال: أبي عل البصير، وعلي بن جبلة، وسلم الخاسر، وغيرهم⁴.

آداب الشاعر:

أفرد ابن رشيق في العمدة باباً للحديث عن الآداب التي يجدر بالشاعر أن يتأدّب بها، والصفات والمعاني التي ينبغي له أن يتجنبها، فرأى أنّه " لا يجوز له، كما يجوز لغيره، أن يكون معجباً بنفسه، مثنياً على شعره، وإن كان جيداً في ذاته، حسناً عند سامعه، فكيف إن كان دون ما يظنّ؟"، واستثنى الناقد من هؤلاء المتكسبين من الشعراء، الذين يسعون إلى إقناع الممدوحين بذواتهم وبشعرهم رغبة في العطاء والصلّات، كما يبدو في قوله: " اللهمّ إنّ أن يريد الشاعر ترغيب الممدوح أو ترهيبه فيثني على نفسه، ويذكر فضل

¹ - المصدر نفسه، 158/2.

² - العمدة، 176/2.

³ - انظر ظاهرة التكبّب، ص 198.

⁴ - انظر العمدة، 176/2-180.

ظاهرة التكبس بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
قصيدته، فقد جعلوه مجازاً مُسامحاً فيه¹.

شاعرية الكاتب والشاعر

كانت ظاهرة التكبس بالشعر حاضرة في المقارنة التي عقدها ابن رشيقي بين شعر الكتاب، وشعر الشعراء، فبيّن أن الكتاب " أرقّ الناس في الشعر طبعاً، وأملحهم تصنيعاً، وأحلامهم ألفاظاً، وألطفهم معاني، وأقدرهم على التصرّف، وأبعدهم من تكلف² ". وبنى رأيه هذا على الفرق الجوهرية بين الشاعر المتكسب، الذي يتكلف قول الشعر، وتُعرض عليه الرغبة قيوداً في المعنى والمبنى تمنعه من الانطلاق والحرية في التعبير، والتصرّف في وجوه القول، وبين الكتاب الذين يقول أكثرهم الشعر " تظرفاً لا عن رغبة أو رهبة، فهم مُطلقون، مُخلّون في شهواتهم، مُسامحون في مذهبهم، إذ كانوا إنّما يصنعون الشعر تخيراً واستظرفاً، كما قال كشاجم الكاتب:

ولئن شعرتُ فما تعمّم ———— مدتُ الهجاءَ ولا المديحة
ولكن رأيتُ الشعرَ للاً داب ———— ترجمّةً فصيحاً³

ويتابع ابن رشيقي القول: " وعلى هذا النمط يجري الحكم في أشعار الخلفاء والأمراء، والمترفين من أهل الأقدار، لا يُحاسبون فيها محاسبة الشاعر المبرز الذي الشعرُ صناعته، والمديح بضاعته⁴ ". وفي الحقيقة هذه لفتات لا تخرج إلا من ناقد بصير بفنون القول مثل ابن رشيقي، إذ تنبه إلى جوهر الاختلاف بين شعر المتكسبين المحتاجين المتصنعين، وبين الشعراء الأغنياء، أو أكثر الكتاب الذين ينطلقون بحرية للتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم، لا يضعون نصب أعينهم إرضاء سيّد أو ملك أو أمير، فهم، ليسوا كالمتكسبين، عبيداً للأموال والعطايا، لا يقولون إلا ما يُرضي أسيادهم.

وفكرة التحرر والانطلاق من قيود التكبس والمديح التكبسي هي التي جعلت الجاحظ يشهد بتميّز العباس بن الأحنف، وبروزه في شعر الغزل، فابن الأحنف، في رأى الجاحظ،

¹ - المصدر نفسه، 201/1.

² - المصدر نفسه، 106/2.

³ - المصدر نفسه، 110/2.

⁴ - المصدر نفسه، 110/2.

رائد مصطفى عبدالرحيم

عبر عن ذاته بحرية وانطلاق، فأبدع في شعره وتفوق، وهذا ما يبدو في قوله الذي نقله ابن أخته يموت ابن مزروع في أماليه: " سمعت خالي، يعني الجاحظ، يقول: لولا أن العباس بن الأحنف أحذق الناس، وأشعرهم، وأوسعهم كلاماً وخاطراً، ما قدر أن يُكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزهُ، لأنّه لا يهجو، ولا يمدح، ولا يتكسّب.."¹.

وقبل الختام تجدر الإشارة إلى الآتي:

1- أن هذه القضايا النقدية التي كان لظاهرة التّكسّب بالشعر حضور فيها، تُضاف إلى القضايا التي أشار إليه البحث آنفاً حين تناول قضيّتي: الناقد وشاعر التّكسّب، والناقد وشعر التّكسّب، فقد تبين هناك أن تلك الظاهرة كان لها حضور في قضايا: مهمة الشعر، والشعر والأخلاق والدين، والصدق والكذب، والمفاضلة بين الشعراء، والمفاضلة بين الشعر والنثر.

2- أن ظاهرة التّكسّب كانت حاضرة في صياغة التوجيهات النقدية للكتاب، ومن الأمثلة على ذلك أبو هلال العسكري الذي يفرّق بين مضمون الرسائل الموجّهة إلى الملك من كاتب الإنشاء عنده، وبين تلك التي يكتبها أدباء بغرض الإطراء والتّكسّب، فالأول يقبح منه كثرة الثناء والشكر، لما في ذلك من دلالة على وضاعة منزله عند مولاه، أما الثاني، فيجوز له ذلك، لأنّه أسلوب من أساليب التأثير، وبالتالي زيادة العطاء. وهذا ما يتجلّى في قوله متحدثاً عن كاتب الإنشاء: " وسبيل ما يُكتب في باب الشكر أن لا يقع فيه إسهاب، فإن إسهاب التابع في الشكر إذا رجع إلى خصوصية نوع من الإبرام والتّقليل، ولا يحسن منه أن يستعمل الإكثار من الثناء والدعاء أيضاً، فإن ذلك فعل الأبعاد الذين لم تتقدم لهم وسائل في الخدمة ومقدمات في الحرمة، أو تكون صناعتهم التّكسّب بتقريظ الملوك، وإطراء السلاطين، فلا يقبح إكثار الثناء من هؤلاء"².

خاتمة

يتبين من البحث في ظاهرة التّكسّب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم أن هذه الظاهرة كان لها حضورها في كتب النقد العربي القديم، وفي آراء النقاد العرب القدامى، الذين ناقشوها من زوايا مختلفة، إذ تحدّثوا عن الشاعر المتكسّب وشعره، واستوحوا هذه

¹ - يموت بن مزروع، الأمالي، ص20.

² - الصناعتين، ص174.

ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم

الظاهرة في صياغة بعض القضايا المهمة في النقد العربي القديم.

أما شاعر التكسب، فكشف البحث تعدد وجهات نظر النقاد العرب القدامى فيه، فهناك موقف رفض التكسب بالشعر، وأسقط شخصية الشاعر المتكسب، ونظر إلى المسألة من وجهة نظر اجتماعية ونفسية وخلقية. ذلك أن الشاعر المتكسب يضطر إلى التذلل، وإراقة ماء الوجه في سبيل الحصول على عطايا الممدوح وأمواله، ولأنه يتسم بالجشع والطمع، والكذب في سبيل تحقيق منافع شخصية وذاتية.

وتساهل بعض النقاد، وعلى رأسهم ابن رشيق القيرواني، في موقفهم من الشاعر الذي يستعطي أرباب الدول الذين يفوقونه مكانة وقدرًا، وحمل بشدة على تملقوا من هم أقل منهم مكانة وقدرًا، وفي مقدمتهم الحطيئة.

وهناك موقف تبلورت معالمه بعد ظهور الإسلام، يجيز التكسب بالشعر بشرطين:

1- التزام الشاعر بالفكر الإسلامي في شعره.

2- أن يعطي الممدوح الشاعر المتكسب من ماله الخاص، لا من بيت مال المسلمين.

وناقش البحث قضية الناقد وشعر التكسب، وخلص إلى أن آراء النقاد العرب القدامى قد تعدد وتوعدت في هذا الشعر، فقد رأى فيه بعضهم أعلى درجات الإبداع الفني، لأن قائله يضطر إلى تجويده وتحسينه، ليلئم مقام الممدوحين، ويتصيد به عطاياهم وهباتهم، وينال الحظوة الكبرى عندهم. ورفض بعضهم هذا الشعر لأنه يفتقد إلى القيمة الخلقية، فهو بعيد عن الصدق، يضيف على الممدوح صفات ليست فيه، فهو في عرفهم، شعر الكذب والنفاق، الذي لا يساهم في تربية جيل صالح.

وبين البحث أن ظاهرة التكسب بالشعر كان لها دورها في صياغة بعض القضايا

المهمة في النقد العربي القديم، وهذه القضايا هي:

- مقدمة القصيدة الجاهلية.

- شعر المديح.

- جوافز الإبداع الفني.

- شعر الاعتذار.

- شعر الاقتضاء والاستتجاز.

رائد مصطفى عبدالرحيم -----

- مهمة الشعر.
- الشعر والأخلاق والدين.
- المفاضلة بين الشعراء.
- المفاضلة بين الشعر والنثر.
- الصدق والكذب.
- شاعرية الكاتب والشاعر.
- آداب الشاعر

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الموصلّي، ت637هـ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1416هـ-1995م.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكريم الشيباني، ت630هـ، الكامل في التاريخ، دار صادر، ودار لبنان، بيروت، 1386هـ-1966م.
- أسامة بن منقذ، ت584هـ، لباب الآداب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1400هـ-1980م.
- الأخطل، غياث بن غوث التغلبي، ت90هـ، ديوان الأخطل، ط1، شرح: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1413هـ-1992م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، ت356هـ، كتاب الأغاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، مؤسسة الجمال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- البرقوق، عبد الرحمن، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن بسطام الشيباني، ت502هـ، شرح ديوان الحماسة، لأبي تمام، ط1، كتب حواشيه: غريد الشيخ، وضع فهرسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ-2000م.
- التنوخي، أبو علي الحسن بن علي البصري، المستجاد من فعلات الأجواد، مطبعة التراقي، دمشق، 1970م.

- ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، ت430هـ، كتاب خاص الخاص، قدّم له: حسن الأمين، منشورات دار مكتبة الحياة.
- نفسه، يتيمة الدهر ومحاسن أهل العصر، ط1، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1973م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت255هـ، كتاب البخل، ضبطه وشرحه وصححه: أحمد العوامري بك، علي الجارم بك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1411هـ-1991م.
- نفسه، 1968م، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الجرجاني، أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد، 471هـ، دلائل الإعجاز، ط2، حققه وقدّم له: د. محمد رضوان الداية، د. فايز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، سورية، 1407هـ-1987م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن 597هـ، الخليفة العادل عمر ابن الخطاب، ط1، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004م.
- نفسه، 2004م، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ط1، دار البيت العتيق الإسلامية عمان، الأردن.
- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد، ت837هـ، خزنة الأدب وغاية الأرب، ط2، شرح: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1991م.
- نفسه، ثمرات الأوراق، تحقيق وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني، ت453هـ، زهر الآداب، ط4، مضبوط ومشروح بقلم المرحوم: د. زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1972م.
- ابن حمدون، بهاء الدين أبو المعالي محمد بن الحسن بن علي، ت562هـ، التنكرة الحمدونية، ط1، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1996م.
- الخالديان، أبو بكر محمد بن هاشم، ت380هـ، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1958م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، ت681، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
- الرازي، أبو حاتم، الزينة في أسماء الكلمات الإسلامية، تحقيق: حسين بن فيض الهاني، القاهرة، 1957م.
- الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء.
- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، ت456هـ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط5، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م.
- مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية 2010، المجلد 12، العدد 1 ----- (463)

- رائد مصطفى عبدالرحيم -----
- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، ت337هـ، أخبار أبي القاسم الزجاجي، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، بغداد، 1980م.
- أبو زيد القرشي، محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، شرحها وضبط نصوصها وقدم لها: د. عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، معيد النعم ومبيد النقم، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1407هـ-1986م.
- ابن سلام الجمحي، أبو عبد الله محمد، ت232هـ، طبقات فحول الشعراء، ط1، حققه ووضع فهرسه وقدم له: د. عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، ت911هـ، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعلّق موضوعاته وعلّق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الصفدي، صلاح الدين بن أبيك، ت764هـ، الوافي بالوفيات، باعتهاء: شكري الفيصل، الجزء الحادي عشر، يطلب من دار النشر فرانز شتاينر شتوتغارت، طبع بمطابع دار صادر، بيروت، لبنان، 1411هـ-1991م.
- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ط3، تحقيق وتعليق: د. محمد زغول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك: تاريخ الطبري، ط1، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، 2004م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ت276هـ، الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء، ط2، حققه وضبط نصوصه: د. مفيد قميحة، راجعه وضبط نصّه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405هـ-1985م.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، ط1، تحقيق: د. عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1404هـ-1983م.
- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله، المصون في الأدب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، دار المطبوعات والنشر، الكويت، 1960م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، ت395هـ، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ط1، حققه وضبط نصوصه: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1401هـ-
- (464) ----- مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية 2010، المجلد 12، العدد 1

----- ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم

1981م.

- العلويّ، يحيى بن حمزة بن إبراهيم، كتاب الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مؤسسة النصر، طهران، إيران.

- الكتبي، محمد بن شاعر، ت764هـ، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.

- الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيليّ، إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، ط2، حققه وقدم له: د. محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1405هـ-1985م.

- المبرّد، أبو العباس، الفاضل في اللغة والأدب، تحقيق: عبد العزيز الميمنيّ، القاهرة، 1956م.

- المقرّي، أحمد بن محمد التلمسانيّ، ت1041هـ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1388هـ-1986م.

- المعريّ، أبو العلاء أحمد بن عبد الله التتوخيّ، رسالة الغفران، دار المعارف، القاهرة، 1963م.
- النشأبيّ الإربليّ، المذاكرة في ألقاب الشعراء، تحقيق: شاعر عاشور، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988م.

- النهروانيّ، أبو الفرج معافى بن زكريا الجريريّ، ت390هـ، المجلس الصالح الكافي والأندلس الناصح الشافعيّ، تحقيق: د. محمد مرسي الخولي، ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1403هـ-1983م

- ابن الورديّ، زين الدين عمر بن المطفّر، ت749هـ، ديوان ابن الوردي، ط1، حققه وعلّق عليه وجمع ملحقه: د. أحمد فوزي الهيب، دار القلم، الكويت، 1407هـ-1986م.
- يموت بن مزروع، الأمالي، تحقيق: إبراهيم صالح، المجلد 75، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

- اليوسي، نور الدين الحسن بن مسعود، ت1102هـ، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي، د. محمد الأخضر، الدار البيضاء، المغرب، 1401هـ-1981م.

المراجع

- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبيّ عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجريّ، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

- نفسه، عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1988م.

- رائد مصطفى عبدالرحيم -----
- ألفت كمال الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007م.
 - جلال الخياط، التكبس بالشعر، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1970م.
 - درويش الجندي، ظاهرة التكبس بالشعر وأثرها في الشعر العربي ونقده، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1970م.
 - عبد اللطيف محمد الحديدي، الشعراء النقّاد في العصرين الجاهليّ والإسلاميّ، ط1، 1418هـ-1998م.
 - كريم الوائليّ، الخطاب النقديّ عند المعتزلة قراءة في معضلة المقياس النقديّ، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م.
 - نجوى صابر، النقد الأخلاقيّ أصوله وتطبيقاته، ط1، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1410هـ-1990م.
 - وليد قصاب، وظيفة الشعر في النقد العربيّ القديم، بحث منشور على شبكة دهشة أو موسوعة دهشة، 2007م.
 - ياسر الحورانيّ، الشعر والتكبس: دراسة اقتصادية، ط1، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 2004م.